الوفاء

وحفظ الجميل

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

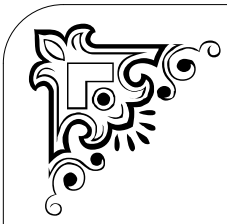

عِظَمُ خُلُقِ الْوَفَاءِ

فَإِنَّ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَعَارَفَ أَصْحَابُ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ عَلَىٰ احْتِرَامِهَا وَتَقْدِيرِهَا وَتَعْظِيمِ مَنْ أَتَىٰ بِهَا.. إِنَّ مِنْ تِلْكَ الْأَخْلَاقِ: خُلُقَ الْوَفَاءِ.

وَقَدْ كَانَتِ الْعَرَبُ تَضْرِبُ الْأَمْثَالَ، فَمِنْ أَمْثَالِهِمْ: «هُوَ أَعَزُّ مِنَ الْوَفَاءِ»، فَلَمَّا رَأَوْا نُدْرَةَ هَذَا الْخُلُقِ وَعِزَّةَ وُجُودِهِ فِي النَّاسِ، وَيَظَلُّونَ الْأَمَدَ مُفْتَقِرِينَ إِلَيْهِ، بَاحِثِينَ عَنْهُ، فَنَادِرًا مَا يَلْقَوْنَهُ، وَقَلَّ مَا يَجِدُونَهُ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ صَعْبُ الْمَنَالِ جِدًّا، وَلَا يُدْرِكُهُ إِلَّا الْأَفْذَاذُ مِنَ الْبَشَرِ.. ضَرَبُوا بِنُدْرَتِهِ الْمَثَلَ؛ فَقَالُوا: «هُوَ أَعَزُّ مِنَ الْوَفَاءِ».

فَجَعَلُوا لِلشَّيْءِ الَّذِي لَا يُمْكِنُ أَنْ يُتَحَصَّلَ عَلَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ النَّفْسِ أَوْ مَا فَوْقَ ذَلِكَ؛ جَعَلُوا لَهُ الْمَثَلَ الْمَضْرُوبَ بِالْوَفَاءِ الْمَفْقُودِ.

كَانَتِ الْعَرَبُ تُقَدِّرُ هَذَا الْخُلُقَ جِدًّا، فَلَمَّا جَاءَ سَيِّدُ الْأَوْفِيَاءِ ﷺ ارْتَكَزَ -بَعْدَ ارْتِكَازِهِ عَلَىٰ مَوْرُوثِ الْفِطْرَةِ السَّوِيَّةِ- عَلَىٰ الْحَقَائِقِ الشَّرْعِيَّةِ الْمَرْعِيَّةِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «خُلُقُ الْوَفَاءِ» - ٧ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ ١٤٢٧هـ| ٥ - ٥ - ٢٠٠٦م.

مَعَانِي الْوَفَاءِ

«**الْوَفَاءُ مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ**: وَفِيَ يَفِي وفاءً، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ مَادَّةِ (و ف ي) الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ «إِكْمَالٍ وَإِتْمَامٍ».

يَقُولُ ابْنُ فَارِسٍ(١): «وَمِنْ هَذَا: الْوَفَاءُ؛ وَهُوَ إِتْمَامُ الْعَهْدِ وَإِكْمَالُ الشَّرْطِ، وَيَقُولُونَ مِنْهُ أَيْضًا: أَوْفَيْتُكَ الشَّيْءَ؛ إِذَا قَضَيْتَهُ إِيَّاهُ وَافِيًا، وَتَوَفَّيْتَ الشَّيْءَ وَاسْتَوْفَيْتَهُ؛ إِذَا أَخَذْتَهُ كُلَّهُ حَتَّىٰ لَمْ تَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا».

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ(٢): «الْوَفَاءُ ضِدُّ الْغَدْرِ، يُقَالُ: وَفَىٰ بِعَهْدِهِ وَأَوْفَىٰ بِمَعْنًىٰ، وَوَفَىٰ الشَّيْءُ وُفِيًّا عَلَىٰ وَزْنِ (فُعُولٍ)؛ أَيْ تَمَّ وَكَثُرَ(٣).

وَالْوَفِيُّ الْوَافِي، وَوَفَىٰ عَلَىٰ الشَّيْءِ: أَشْرَفَ، وَأَوْفَاهُ حَقَّهُ وَوَفَاهُ بِمَعْنًىٰ، وَاسْتَوْفَىٰ حَقَّهُ وَتَوَفَّاهُ بِمَعْنًىٰ، وَتَوَفَّاهُ اللهُ: قَبَضَ رُوحَهُ، وَوَافَىٰ فُلَانٌ: أَتَىٰ، وَتَوَافَىٰ الْقَوْمُ: تَتَامُّوا».

---

(١) «**مقاييس اللغة**»: (٦/ ١٢٩)، مادة: (وَفَىٰ).

(٢) «**الصحاح**»: (٦/ ٢٥٢٦).

(٣) يشير الجوهري بذلك إلىٰ أنّ مصدر (وفىٰ) قد يأتي علىٰ (فعول)، مثل: (قعود وجلوس).

قَالَ الرَّاغِبُ(١): «الْوَافِي: الَّذِي بَلَغَ التَّمَامَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، يُقَالُ: دِرْهَمٌ وَافٍ وَكَيْلٌ وَافٍ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾ [الإسراء: ٣٥].

وَوَفَىٰ بِعَهْدِهِ وَأَوْفَىٰ إِذَا تَمَّمَ الْعَهْدَ وَلَمْ يَنْقُضْ حِفْظَهُ، وَاشْتِقَاقُ ضِدِّهِ وَهُوَ الْغَدْرُ يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ؛ وَهُوَ تَرْكُ الْحِفْظِ.

وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ جَاءَ بِصِيغَةِ الرُّبَاعِيِّ «أَوْفَىٰ»، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠].

وَتَوْفِيَةُ الشَّيْءِ: بَذْلُهُ وَافِيًا، وَاسْتِيفَاؤُهُ: تَنَاوُلُهُ وَافِيًا، وَقَدْ عُبِّرَ عَنِ النَّوْمِ وَالْمَوْتِ بِالتَّوَفِّي».

«وَفِي حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه: «**وَفَتْ أُذُنُكَ وَصَدَّقَ اللهُ حَدِيثَكَ**»(٢)، كَأَنَّهُ جَعَلَ أُذُنَهُ فِي السَّمَاعِ كَالضَّامِنَةِ بِتَصْدِيقِ مَا حَكَتْ، فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ فِي تَحْقِيقِ ذَلِكَ الْخَبَرِ صَارَتِ الْأُذُنُ كَأَنَّهَا وَافِيَةٌ بِضَمَانِهَا خَارِجَةٌ مِنَ التُّهَمَةِ فِيمَا أَدَّتْهُ إِلَىٰ اللِّسَانِ.

---

(١) «**المفردات**»: (ص٨٧٨) بتصرف واختصار.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «**تفسيره**»: (٣/ ٣١٢-٣١٣، رقم ٣٢٢٥)، وابن سعد في «**الطبقات**»: (٤/ ٣٧٥-٣٧٦)، والطبري في «**جامع البيان**»: (٢٨/ ١١٠ و١١٤)، من طرق، وهو صحيح.

والحديث أصله في الصحيحين: «**صحيح البخاري**»: (٨/ ٦٤٤، رقم ٤٩٠٠)، و«**صحيح مسلم**»: (٤/ ٢١٤٠، رقم ٢٧٧٢)، بنحوه.

وَفِي رِوَايَةٍ: «**أَوْفَىٰ اللهُ بِأُذُنِهِ**»(١)؛ أَيْ: أَظْهَرَ صِدْقَهُ فِي إِخْبَارِهِ عَمَّا سَمِعَتْ أُذُنُهُ.

وَأَوْفَىٰ الْكَيْلَ: أَتَمَّهُ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ شَيْئًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ**﴾ [المائدة: ١]، ﴿**وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ**﴾ [البقرة: ٤٠]، ﴿**وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ**﴾ [الإسراء: ٣٥].

وَفِي الْحَدِيثِ: «**فَمَرَرْتُ بِقَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ، كُلَّمَا قُرِضَتْ وَفَتْ**»(٢)؛ أَيْ: تَمَّتْ وَطَالَتْ.

وَالْمُوَافَاةُ: أَنْ تُوَافِيَ إِنْسَانًا فِي الْمِيعَادِ، تَوَافَيْنَا فِي الْمِيعَادِ وَوَافَيْتُهُ فِيهِ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري: (٨/ ٦٥٠، رقم ٤٩٠٦)، من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ:
حَزِنْتُ عَلَىٰ مَنْ أُصِيبَ بِالحَرَّةِ، فَكَتَبَ إِلَيَّ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ -وَبَلَغَهُ شِدَّةُ حُزْنِي- يَذْكُرُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الأَنْصَارِ**»، فَسَأَلَ أَنَسًا بَعْضُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ، فَقَالَ: هُوَ الَّذِي يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا الَّذِي أَوْفَىٰ اللهُ لَهُ بِأُذُنِهِ**».

(٢) أخرجه ابن أبي داود في «**المصاحف**»: (ص٤٧٤، رقم ٣٥٨ و٣٥٩)، وابن أبي حاتم في «**تفسيره**»: (١/ ١٠٠، رقم ٤٧٢)، وابن حبان: (١/ ٢٤٩-٢٥٠، رقم ٥٣)، والطبراني في «**الأوسط**»: (٨/ ١٤٤، رقم ٨٢٢٣)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»: (٢/ ٣٨٦) و(٦/ ٢٤٨-٢٤٩)، والخطيب في «**اقتضاء العلم العمل**»: (ص٧٢-٧٣، رقم ١١١)، من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَىٰ قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، كُلَّمَا قُرِضَتْ وَفَتْ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ، وَيَقْرَءُونَ كِتَابَ اللهِ وَلَا يَفْعَلُونَ بِهِ**».
والحديث حسن إسناده الألباني في تخريج «**اقتضاء العلم العمل**»: (ص٧٢، رقم ١١٢).

(٣) «**لسان العرب**»: (١٥/ ٣٩٨-٣٩٩)، مادة: (وفى).

«**وَالْوَفَاءُ فِي اللُّغَةِ**: الْخُلُقُ الشَّرِيفُ الْعَالِي الرَّفِيعُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: وَفَىٰ الشَّعْرُ فَهُوَ وَافٍ إِذَا زَادَ، وَوَفَيْتُ لَهُ بِالْعَهْدِ أَفِي، وَوَافَيْتُ أُوَافِي»(١).

وَمِنْهُ: الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ؛ وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنْ بُلُوغِ تَمَامِ الْكَمَالِ فِي تَنْفِيذِ كُلِّ مَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللهَ، وَفِي كُلِّ مَا عَاهَدَ عَلَيْهِ عِبَادَ اللهِ.

الْوَفَاءُ اصْطِلَاحًا:

قَالَ الْجُرْجَانِيُّ(٢): «الْوَفَاءُ: هُوَ مُلَازَمَةُ طَرِيقِ الْمُوَاسَاةِ، وَمُحَافَظَةُ عُهُودِ الْخُلَطَاءِ».

الْوَفَاءُ: هُوَ الصَّبْرُ عَلَىٰ مَا يَبْذُلُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ وَيَرْهَنُهُ بِهِ لِسَانُهُ، وَالْخُرُوجُ مِمَّا يَضْمَنُهُ -بِمُقْتَضَىٰ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ- وَإِنْ كَانَ مُجْحِفًا بِهِ، فَلَيْسَ يُعَدُّ وَفِيًّا مَنْ لَمْ تَلْحَقْهُ بِوَفَائِهِ أَذِيَّةٌ وَإِنْ قَلَّتْ، وَكُلَّمَا أَضَرَّ بِهِ الدُّخُولُ تَحْتَ مَا حَكَمَ بِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ كَانَ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي الْوَفَاءِ».

«**الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ**: إِتْمَامُهُ وَعَدَمُ نَقْضِ حِفْظِهِ»(٣).

وَ«**الْوَفَاءُ**: صِدْقُ اللِّسَانِ وَالْفِعْلِ مَعًا»(٤).

❀❀❀

(١) «**تهذيب اللغة**»: (١٥/ ٤١٩)، و«**لسان العرب**»: (١٥/ ٣٩٩).

(٢) «**التعريفات**»: (ص٢٥٣).

(٣) «**المفردات**»: (ص٨٧٨)، بتصرف يسير.

(٤) «**الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة**»: (ص٢٠٩).

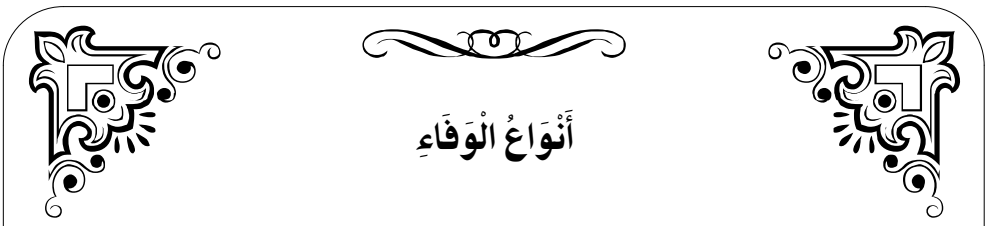

أَنْوَاعُ الْوَفَاءِ

لِلْوَفَاءِ أَنْوَاعٌ عَدِيدَةٌ بِاعْتِبَارِ الْمُوفَىٰ بِهِ؛ فَهِيَ قَدْ تَكُونُ وَفَاءً بِالْعَهْدِ، وَقَدْ تَكُونُ وَفَاءً بِالْعَقْدِ أَوِ الْمِيثَاقِ، وَقَدْ تَكُونُ وَفَاءً بِالْوَعْدِ.

«**الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ**: إِتَمَامُهُ وَعَدَمُ نَقْضِ حِفْظِهِ، وَيَتَطَابَقُ مِنْ ثَمَّ صِدْقُ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ جَمِيعًا»(١).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الْعُهُودُ مَا أَحَلَّ اللهُ، وَمَا حَرَّمَ، وَمَا فَرَضَ، وَمَا حَدَّ فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ»(٢).

أَمَّا الْوَفَاءُ بِالْعَقْدِ: «فَالْمُرَادُ بِهِ إِمَّا الْعَهْدُ، وَبِذَلِكَ يَتَطَابَقُ مَعَ النَّوْعِ الَّذِي سَبَقَ، وَقِيلَ: الْعُقُودُ هِيَ أَوْكَدُ الْعُهُودِ، وَقِيلَ: هِيَ عُهُودُ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ، وَقِيلَ: هِيَ مَا يَتَعَاقَدُهُ النَّاسُ فِيمَا بَيْنَهُمْ»(٣).

---

(١) «**المفردات**»: (ص٨٧٨)، و«**الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة**»: (ص٢٠٩).

(٢) أخرجه الطبري في «**جامع البيان**»: (٦/ ٤٧-٤٨)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: (٦/ ١٩٨، رقم ٤٠٤٧)، بإسناد صحيح.

(٣) انظر: «**معالم التنزيل**»: (٢/ ٥-٦).

أَمَّا الْوَفَاءُ بِالْوَعْدِ: فَالْمُرَادُ بِهِ أَنْ يَصْبِرَ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ أَدَاءِ مَا يَعِدُ بِهِ الْغَيْرَ وَيَبْذُلُهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ وَيَرْهَنُهُ بِهِ لِسَانُهُ، حَتَّىٰ وَإِنْ أَضَرَّ بِهِ ذَلِكَ، وَقَدْ مَرَّ أَنَّهُ: كُلَّمَا أَضَرَّ بِهِ الدُّخُولُ تَحْتَ مَا حَكَمَ بِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ كَانَ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي الْوَفَاءِ»[1].

❀❀❀

(١) «**نضرة النعيم**»: (٨/ ٣٦٣٨-٣٦٤٠)، بتصرف واختصار يسير.

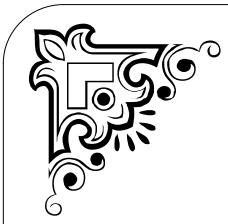

الْوَفَاءُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

«إِنَّ الْوَفَاءَ صِفَةٌ أَسَاسِيَّةٌ فِي بِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، وَقَاعِدَتُهُ الَّتِي تَقُومُ عَلَيْهَا حَيَاةُ الْأَفْرَادِ؛ فَإِذَا افْتَقَدَتِ الْأُمَّةُ الْأَمَانَةَ وَالثِّقَةَ، وَضَعُفَتِ الْأَوَاصِرُ وَتَهَاوَتِ الْعَلَاقَاتُ، وَفَقَدَتِ الْأُمَّةُ الْوَفَاءَ الَّذِي هُوَ رُكْنُ الْأَمَانَةِ وَقِوَامُ الصِّدْقِ؛ حَلَّ بِالْأُمَّةِ الضَّعْفُ وَالْهَزِيمَةُ»(١).

«إِنَّ الْوَفَاءَ مِنَ الْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَتَّصِفَ بِهَا الْمُسْلِمُ، وَحَثَّ عَلَيْهَا اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ فِي أَكْثَرَ مِنْ مَوْضِعٍ، وَمَنْ يَتَدَبَّرْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَجِدْ أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ- قَدْ جَعَلَ الْوَفَاءَ قِوَامًا لِصَلَاحِ أُمُورِ النَّاسِ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ ﷻ بِالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ أَمْرًا صَرِيحًا فِي عَدَدٍ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]»(٢).

وَأَوْفُوا بِأَوَامِرِ اللهِ وَنَوَاهِيهِ، وَمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْعِبَادِ مِنْ مَوَاثِيقَ اتَّفَقْتُمْ عَلَيْهَا بِلَا نَقْضٍ وَلَا إِخْلَافٍ وَلَا نَقْصٍ؛ إِنَّ مُعْطِيَ الْعَهْدِ كَانَ مَسْئُولًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللهِ عَنْ حِفْظِهِ وَالْوَفَاءِ بِهِ.(*).

---

(١) بتصرف من: «**الوفاء في ضوء القرآن الكريم**» (ص: ٧).

(٢) بتصرف واختصار من مقال: «**الوفاء بالعهد في القرآن**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الإسراء: ٣٤].

وَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١].

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ! نَفِّذُوا ارْتِبَاطَاتِكُمُ الَّتِي عَقَدْتُمُوهَا مَعَ رَبِّكُمْ بِسَبَبِ إِيمَانِكُمْ، وَالْعُقُودَ الَّتِي عَقَدْتُمُوهَا مَعَ أَنْفُسِكُمْ بِسَبَبِ حَلِفِكُمْ وَنَذْرِكُمْ عَلَىٰ أَلَّا تَفْعَلُوا فِعْلًا أَوْ تَكُفُّوا عَنْ فِعْلٍ، وَالْعُقُودَ الَّتِي عَقَدَهَا بَعْضُكُمْ مَعَ بَعْضٍ بِإِرَادَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ؛ مِن بَيْعٍ، وَإِجَارَةٍ، وَرَهْنٍ، وَشَرِكَةٍ، وَمُضَارَبَةٍ، وَزَوَاجٍ وَنَحْوِهَا، فَالْتَزِمُوا بِهَا، وَبِالْعُقُودِ الَّتِي تَعْقِدُهَا الدَّوْلَةُ الْمُسْلِمَةُ مَعَ غَيْرِهَا مِنَ الدُّوَلِ فِي السِّلْمِ وَالْحَرْبِ.(*).

وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ لَا أَحَدَ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنْهُ** جَلَّ وَعَلَا، **وَهُوَ يَتَضَمَّنُ الْوَفَاءَ بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ**(٢)؛ **فَقَالَ** -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ [التوبة: ١١١].

«وَلَا وَاحِدَ أَعْظَمُ وَفَاءً بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ [النِّسَاء: ٨٧]، ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [النِّسَاء: ١٢٢]»(٣).

قَالَ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَمَنْ أَحْسَنُ وَفَاءً بِمَا ضَمِنَ وَشَرَطَ مِنَ اللهِ»(٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [المائدة: ١].

(٢) «تفسير القرطبي» (٨/ ٢٦٩).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢١٨).

(٤) «تفسير الطبري» (١٤/ ٤٩٨).

وَبَيَّنَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَنَّ الْوَفَاءَ بِالْوَعْدِ مِنْ كَمَالِ الْأَخْلَاقِ، وَأَثْنَى اللهُ عَلَى رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ بِالْوَفَاءِ، يَقُولُ -تَعَالَىٰ- عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ [النجم: ٣٦- ٣٧].

وَمَدَحَ بِهِ إِسْمَاعِيلَ عليه السلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤].

وَضَعْ فِي ذَاكِرَتِكَ -أَيُّهَا الْمُتَلَقِّي لِآيَاتِ رَبِّكَ- خَبَرَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُنَزَّلَ فِي الْقُرْآنِ وَاحْفَظْهُ وَتَدَبَّرْهُ، وَاسْتَذْكِرْهُ عِنْدَ الْمُنَاسَبَاتِ الدَّاعِيَاتِ؛ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ، لَمْ يَعِدْ شَيْئًا إِلَّا وَفَىٰ بِهِ، وَكَانَ رَسُولًا حَامِلًا لِوَظَائِفِ رِسَالَةٍ رَبَّانِيَّةٍ، نَبِيًّا مُخْبِرًا عَنِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.(*).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ قَامُوا بِمَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ وَوَفَّوْا بِهِ، فَبَعْضُ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ مَنْ وَفَّىٰ بِعَهْدِهِ مَعَ اللهِ، وَأَدَّىٰ نَذْرَهُ، وَصَبَرَ عَلَىٰ الْجِهَادِ حَتَّىٰ اسْتُشْهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَنْ بَقِيَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَنْتَظِرُونَ إِحْدَىٰ الْحُسْنَيَيْنِ؛ إِمَّا الشَّهَادَةَ أَوِ النَّصْرَ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ.

وَكِلَا الْفَرِيقَيْنِ -الَّذِينَ قَضَوْا نَحْبَهُمْ، وَالَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ قَضَاءَهُ حَتَّىٰ غَايَتِهِ-

---

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [مريم: ٥٤].

مَا بَدَّلُوا فِيمَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ تَبْدِيلًا مَا، بَلْ حَافَظُوا عَلَىٰ عُهُودِهِمْ وَنَفَّذُوهَا وَوَفَّوْا بِهَا.(*).

وَكَمَا أَمَرَ دِينُنَا الْحَنِيفُ بِالْوَفَاءِ بِالْعُقُودِ وَالْعُهُودِ حَذَّرَنَا مِنْ نَقْضِهَا، وَنَهَانَا عَنْ عَدَمِ الْوَفَاءِ بِهَا، وَشَدَّدَ اللهُ ﷻ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى أَنَّ نَقْضَ الْعَهْدِ وَعَدَمَ الْوَفَاءِ بِهِ لَيْسَ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١].

«وَهَذَا يَشْمَلُ جَمِيعَ مَا عَاهَدَ الْعَبْدُ عَلَيْهِ رَبَّهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَالنُّذُورِ وَالْأَيْمَانِ الَّتِي عَقَدَهَا إِذَا كَانَ الْوَفَاءُ بِهَا بِرًّا، وَيَشْمَلُ -أَيْضًا- مَا تَعَاقَدَ عَلَيْهِ هُوَ وَغَيْرُهُ؛ كَالْعُهُودِ بَيْنَ الْمُتَعَاقِدِينَ، وَكَالْوَعْدِ الَّذِي يَعِدُهُ الْعَبْدُ لِغَيْرِهِ وَيُؤَكِّدُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، فَعَلَيْهِ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ الْوَفَاءُ وَتَتْمِيمُهَا مَعَ الْقُدْرَةِ، وَلِهَذَا نَهَىٰ اللهُ عَنْ نَقْضِهَا فَقَالَ: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ بِعَقْدِهَا عَلَىٰ اسْمِ اللهِ -تَعَالَىٰ- ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُتَعَاقِدُونَ ﴿كَفِيلًا﴾؛ فَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَلَّا تُحْكِمُوا مَا جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا، فَيَكُونُ ذَلِكَ تَرْكَ تَعْظِيمِ اللهِ وَاسْتِهَانَةً بِهِ، وَقَدْ رَضِيَ الْآخَرُ مِنْكَ بِالْيَمِينِ وَالتَّوْكِيدِ الَّذِي جَعَلْتَ اللهَ فِيهِ كَفِيلًا، فَكَمَا ائْتَمَنَكَ وَأَحْسَنَ ظَنَّهُ فِيكَ فَلْتَفِ لَهُ بِمَا قُلْتَ وَأَكَّدْتَهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الأحزاب: ٢٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ فَيُجَازِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ عَلَىٰ حَسَبِ نِيَّتِهِ وَمَقْصِدِهِ»(١).

الْوَفَاءُ بِالْعُهُودِ تَعْظِيمٌ للهِ، وَعَدَمُ الْوَفَاءِ بِهَا عَدَمُ تَعْظِيمٍ لَهُ؛ فَهُوَ قَدْحٌ فِي التَّوْحِيدِ.

﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾: بِالِالْتِزَامِ بِمُوجِبِهِ؛ مِنْ عُقُودِ الْبَيْعَةِ، وَالْأَيْمَانِ وَغَيْرِهَا.

﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ﴾؛ أَيْ: أَيْمَانَ الْبَيْعَةِ، أَوْ مُطْلَقَ الْأَيْمَانِ.

﴿بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾: بَعْدَ تَوْثِيقِهَا بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَىٰ.

﴿وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ﴾؛ أَيْ: شَاهِدًا عَلَيْكُمْ بِتِلْكَ الْبَيْعَةِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾: مِنْ نَقْضِ الْأَيْمَانِ وَالْعُهُودِ؛ وَهَذَا تَهْدِيدٌ.

وَمَعْنَىٰ الْآيَةِ: يَأْمُرُ -تَعَالَىٰ- بِالْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ وَالْمَوَاثِيقِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ الْأَيْمَانِ الْمُؤَكَّدَةِ بِذِكْرِهِ؛ لِأَنَّهُمْ بِذَلِكَ جَعَلُوهُ -سُبْحَانَهُ- شَاهِدًا وَرَقِيبًا عَلَيْهِمْ، وَهُوَ -سُبْحَانَهُ- يَعْلَمُ أَفْعَالَهُمْ وَتَصَرُّفَاتِهِمْ، وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا.

وَالْآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ وُجُوبِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ، وَمِنْهَا مَا يَجْرِي بَيْنَ النَّاسِ؛ مِنْ إِعْطَاءِ الذِّمَّةِ، فَإِنَّهَا يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهَا؛ لِأَنَّهَا فَرْدٌ مِنْ أَفْرَادِ مَعْنَىٰ الْآيَةِ»(٢).(*).

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٤٤٧).

(٢) «**الملخص في شرح كتاب التوحيد**»: (ص٤١٢-٤١٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ وَاخْتِصَارٍ مِنْ: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» (بَابٌ: مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ) (مُحَاضَرَة: ٦٦) - الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ٢٧-٧-٢٠١٤م.

وَلِذَلِكَ كَانَ جَزَاءُ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ الْعَهْدَ أَنَّهُمْ مَلْعُونُونَ فِي كِتَابِ اللهِ، مَوْعُودُونَ بِسُوءِ الْعَاقِبَةِ، يَقُولُ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

«لَمَّا ذَكَرَ حَالَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ ذَكَرَ أَنَّ أَهْلَ النَّارِ بِعَكْسِ مَا وَصَفَهُمْ بِهِ، فَقَالَ عَنْهُمْ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ أَيْ: مِنْ بَعْدِ مَا أَكَّدَهُ عَلَيْهِمْ عَلَىٰ أَيْدِي رُسُلِهِ وَغَلَّظَ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يُقَابِلُوهُ بِالِانْقِيَادِ وَالتَّسْلِيمِ، بَلْ قَابَلُوهُ بِالْإِعْرَاضِ وَالنَّقْضِ، ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾: فَلَمْ يَصِلُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلَا وَصَلُوا الْأَرْحَامَ وَلَا أَدَّوُا الْحُقُوقَ، بَلْ أَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ بِالْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَابْتِغَائِهَا عِوَجًا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ أَيِ: الْبُعْدُ وَالذَّمُّ مِنَ اللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾: وَهِيَ الْجَحِيمُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ»[(١)].

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ ﷻ **الْوَفَاءَ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي تُؤَهِّلُ صَاحِبَهَا إِلَى الْفَوْزِ بِجَنَّاتِ الْفِرْدَوْسِ، وَالْخُلُودِ فِي النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، قَالَ** جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٢ - ٣٥].

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ مُرَاعُونَ حَافِظُونَ، مُجْتَهِدُونَ عَلَىٰ أَدَائِهَا وَالْوَفَاءِ بِهَا، وَهَذَا شَامِلٌ لِجَمِيعِ الْأَمَانَاتِ الَّتِي بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْخَلْقِ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَسْرَارِ.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٤١٧).

وَكَذَلِكَ الْعَهْدُ.. شَامِلٌ لِلْعَهْدِ الَّذِي عَاهَدَ عَلَيْهِ اللهَ، وَالْعَهْدِ الَّذِي عَاهَدَ الْخَلْقَ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْعَهْدَ يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ: هَلْ قَامَ بِهِ وَوَفَّاهُ، أَمْ رَفَضَهُ وَخَانَهُ فَلَمْ يَقُمْ بِهِ؟

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ إِلَّا بِمَا يَعْلَمُونَهُ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ وَلَا كِتْمَانٍ، وَلَا يُحَابِي فِيهَا قَرِيبًا وَلَا صَدِيقًا وَنَحْوَهُ، فَيَكُونُ الْقَصْدُ بِإِقَامَتِهَا وَجْهَ اللهِ.

وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ بِالْمُدَاوَمَةِ عَلَيْهَا عَلَىٰ أَكْمَلِ الْوُجُوهِ، أُولَئِكَ الْمَوْصُوفُونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ؛ أَيْ أَوْصَلَ اللهُ لَهُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ، وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [المعارج: ٣٢ - ٣٥].

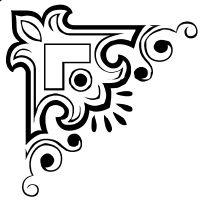

الْوَفَاءُ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ مِنَ الْخِصَالِ السَّامِيَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَالشَّمَائِلِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي تَحَلَّى بِهِ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ ﷺ: الْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ، وَأَدَاءَ الْحُقُوقِ لِأَصْحَابِهَا، وَعَدَمَ الْغَدْرِ.

وَتَخَلُّقُ الرَّسُولِ ﷺ بِهَذَا الْخُلُقِ الْكَرِيمِ ظَاهِرٌ بَيِّنٌ؛ سَوَاءٌ فِي تَعَامُلِهِ مَعَ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا، **أَوْ فِي تَعَامُلِهِ مَعَ أَزْوَاجِهِ، أَوْ أَصْحَابِهِ، أَوْ حَتَّى مَعَ أَعْدَائِهِ.**

النَّبِيُّ ﷺ عَلَّمَ الدُّنْيَا الْوَفَاءَ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ هِرَقْلَ سَأَلَ أَبَا سُفْيَانَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «هَلْ يَغْدِرُ؟

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ -وَكَانَ آنَذَاكَ مُشْرِكًا-: «لَا».

فَقَالَ هِرَقْلُ: وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ(١).

وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ رضي الله عنه قَالَ: «بَعَثَتْنِي قُرَيْشٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُلْقِيَ فِي قَلْبِي الْإِسْلَامُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَاللهِ لَا أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ أَبَدًا.

---

(١) أخرجه البخاري: (١/ ٣١-٣٣، رقم ٧)، وأخرجه -أيضًا- مسلم: (٣/ ١٣٩٣-١٣٩٧، رقم ١٧٧٣).

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَا أَخِيسُ بِالْعَهْدِ** -أَيْ: لَا أَنْقُضُهُ- **وَلَا أَحْبِسُ الْبُرُدَ** -أَيْ: الرُّسُلَ- **وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ؛ فَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِكَ الَّذِي بِنَفْسِكَ الْآنَ فَارْجِعْ**».

قَالَ: فَذَهَبْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَسْلَمْتُ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ(١) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه **قَالَ**: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ، قَالَ: فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا.

فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ.

فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ.

فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْنَاهُ، فَقَالَ: «**انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللهَ عَلَيْهِمْ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٢).

وَعِنْدَهُ -أَيْضًا-(٣): أَنَّ شَاعِرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ -يَعْنِي: حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ رضي الله عنه- هَجَا بَعْضَ الْمُشْرِكِينَ دِفَاعًا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَانَ مِمَّا قَالَ:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ

---

(١) أخرجه أبو داود: (٣/ ٨٢-٨٣، رقم ٢٧٥٨).

والحديث صحح إسناده الألباني في «**الصحيحة**»: (٢/ ٣١٥-٣١٦، رقم ٧٠٢).

(٢) أخرجه مسلم: (٣/ ١٤١٤، رقم ١٧٨٧).

(٣) «**صحيح مسلم**»: (٤/ ١٩٣٥-١٩٣٦، رقم ٢٤٩٠)، من حديث: عَائِشَةَ رضي الله عنها.

هَجَـوْتَ مُحَمَّـدًا بَـرًّا تَقِيًّـا ... رَسُـولَ اللهِ شِـيمَتُهُ الْوَفَـاءُ

فَـإِنَّ أَبِـي وَوَالِـدَهُ وَعِرْضِـي ... لِعِـرْضِ مُحَمَّـدٍ مِـنْكُمْ وِقَـاءُ

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

وَعِنْدَ الشَّيْخَيْنِ(٢) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ**».

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا**»(٣). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَلَمْ يُؤْثَرْ أَبَدًا -وَلَا يَكُونُ.. وَحَاشَاهُ!- عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ غَدْرٌ وَلَا خِيَانَةٌ؛ لَا قَبْلَ الْبِعْثَةِ وَلَا بَعْدَهَا، شَهِدَ بِذَلِكَ أَعْدَاؤُهُ وَأَوْلِيَاؤُهُ.

وَقَدْ عَاهَدَ النَّبِيُّ ﷺ يَهُودَ الْمَدِينَةِ حِينَ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَوَفَّىٰ لَهُمْ، وَكَانُوا هُمُ الَّذِينَ نَقَضُوا الْعَهْدَ وَغَدَرُوا، وَعَاهَدَ كُفَّارَ قُرَيْشٍ وَوَفَّىٰ لَهُمْ، حَتَّىٰ كَانُوا هُمُ الَّذِينَ نَقَضُوا الْعَهْدَ وَغَدَرُوا.

---

(١) أخرجه البخاري: (١/ ٨٩، رقم ٣٤)، ومسلم: (١/ ٧٨، رقم ٥٨).

(٢) أخرجه البخاري: (٦/ ٢٨٣، رقم ٣١٨٨)، ومسلم: (٣/ ١٣٥٩-١٣٦٠، رقم ١٧٣٥).

(٣) أخرجه البخاري: (٦/ ٢٦٩-٢٧٠، رقم ٣١٦٦) و(١٢/ ٢٥٩، رقم ٦٩١٤).

وَفِي قِصَّةِ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَىٰ وَفَاءِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْعَهْدِ، كَمَا أَنَّ فِيهَا أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ رضي الله عنه صَحِبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْلَمَ، وَأَعْطَىٰ النَّبِيَّ ﷺ الْمَالَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا الْإِسْلَامُ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ**»(١).

وَإِنَّمَا رَدَّهُ النَّبِيُّ ﷺ لِأَنَّهُ أُخِذَ غَدْرًا.

وَأَمَّا فِي بِئْرِ مَعُونَةَ فَقَدْ وَقَعَ حَادِثٌ جَلَلٌ؛ خَرَجَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ بِـ (الْقَرْقَرَةِ) مِنْ صَدْرِ قَنَاةٍ أَقْبَلَ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، حَتَّىٰ نَزَلَا مَعَهُ فِي ظِلٍّ هُوَ فِيهِ، وَكَانَ مَعَ الْعَامِرِيَّيْنِ عَقْدٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَجِوَارٌ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ.

وَقَدْ سَأَلَهُمَا حِينَ نَزَلَا مِمَّنْ أَنْتُمَا؟

فَقَالَا: مِنْ بَنِي عَامِرٍ.

فَأَمْهَلَهُمَا، حَتَّىٰ إِذَا نَامَا عَدَا عَلَيْهِمَا فَقَتَلَهُمَا، وَهُوَ يَرَىٰ أَنَّهُ قَدْ أَصَابَ بِهِمَا ثَأْرَهُ مِنْ بَنِي عَامِرٍ بِمَا أَصَابُوا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَلَمَّا قَدِمَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ قَتَلْتَ قَتِيلَيْنِ لَأَدِيَنَّهُمَا**».

وَكَانَ عَامِرُ بْنُ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ أَبُو بَرَاءٍ.. كَانَ كَبِيرَ الْعَامِرِيِّينَ وَسَيِّدَهُمْ، وَقَدْ كَانَ أَعْطَىٰ النَّبِيَّ ﷺ جِوَارًا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِيَأْتُوا لِدَعْوَةِ أَهْلِ نَجْدٍ،

---

(١) أخرجه البخاري: (٥/ ٣٢٩-٣٢٣، رقم ٢٧٣١)، من حديث: المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنه.

وَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْعِينَ رَجُلًا فَقُتِلُوا جَمِيعًا فِي بِئْرِ مَعُونَةَ، وَتَسَاهَلَ أَبُو بَرَاءٍ فِي نُصْرَتِهِمْ فِي جِوَارِهِ إِيَّاهُمْ، حَتَّىٰ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا عَمَلُ أَبِي بَرَاءٍ، قَدْ كُنْتُ لِهَذَا كَارِهًا مُتَخَوِّفًا**»(١).

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «قَالَ الزُّهْرِيُّ: ثُمَّ بَعَثَتْ قُرَيْشٌ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو أَخَا بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ -يَعْنِي فِي الْحُدَيْبِيَةِ-، وَقَالُوا: ائْتِ مُحَمَّدًا وَصَالِحْهُ، وَلَا يَكُنْ فِي صُلْحِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ عَنَّا عَامَهُ هَذَا، فَوَاللهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّهُ دَخَلَهَا عَنْوَةً أَبَدًا.

فَأَتَاهُ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقْبِلًا قَالَ: «**قَدْ أَرَادَ الْقَوْمُ الصُّلْحَ حِينَ بَعَثُوا هَذَا الرَّجُلَ**».

فَلَمَّا انْتَهَىٰ سُهَيْلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَكَلَّمَ فَأَطَالَ الْكَلَامَ، فَتَرَاجَعَا، ثُمَّ جَرَىٰ بَيْنَهُمَا الصُّلْحُ، فَلَمَّا الْتَئَمَ الْأَمْرُ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْكِتَابُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه: «**اكْتُبْ: هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو.. اصْطَلَحَا عَلَىٰ وَضْعِ الْحَرْبِ عَنِ النَّاسِ عَشْرَ سِنِينَ يَأْمَنُ فِيهِنَّ النَّاسُ وَيَكُفُّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، عَلَىٰ أَنَّهُ مَنْ أَتَىٰ مُحَمَّدًا مِنْ قُرَيْشٍ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهِ رَدَّهُ عَلَيْهِمْ، وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشًا مِمَّنْ مَعَ مُحَمَّدٍ لَمْ يَرُدُّوهُ عَلَيْهِ**».

---

(١) أخرجه ابن هشام في «**السيرة**»: (٢/ ١٨٤-١٨٦) والسياق له، والطبري في «**تاريخه**»: (٢/ ٥٤٦-٥٤٧)، والطبراني في «**المعجم الكبير**»: (٢٠/ ٣٥٦-٣٥٨، رقم ٨٤١)، والبيهقي في «**الدلائل**»: (٣/ ٣٣٨-٣٤١)، من طريق: ابن إسحاق، بإسناده، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرو بن جزم وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وعن حُمَيْد الطَّوِيل، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، فذكره.

فَبَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْتَبُ الْكِتَابُ بَيْنَ يَدَيْهِ هُوَ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو؛ إِذْ جَاءَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ(١) فِي الْحَدِيدِ، وَكَانَ قَدْ فَارَقَ مِلَّةَ الْكُفْرِ وَدَخَلَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، فَسَلْسَلَهُ أَبُوهُ وَجَعَلَهُ فِي مِحْبَسٍ هُنَالِكَ، فَانْفَلَتَ، ثُمَّ جَاءَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَىٰ سُهَيْلٌ ابْنَهُ أَبَا جَنْدَلٍ قَامَ إِلَيْهِ فَضَرَبَ وَجْهَهُ، وَأَخَذَ بِتَلْبِيبِهِ -أَيْ بِثِيَابِ رَقَبَتِهِ- وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! قَدْ لَجَّتِ الْقَضِيَّةُ -أَيْ تَمَّ الِاتِّفَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ- قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكَ هَذَا -يُرِيدُ وَلَدَهُ-.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**صَدَقْتَ**».

فَجَعَلَ يَنْتُرُهُ -أَيْ: يَجْذِبُهُ بِقُوَّةٍ بِتَلْبِيبِهِ وَيَجُرُّهُ لِيَرُدَّهُ إِلَىٰ قُرَيْشٍ، وَجَعَلَ أَبُو جَنْدَلٍ يَصْرُخُ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ! أَأُرَدُّ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ فَيَفْتِنُونِي فِي دِينِي؟!!

فَزَادَ ذَلِكَ النَّاسَ إِلَىٰ مَا بِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا جَنْدَلٍ! اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ؛ فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا، إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحًا، وَأَعْطَيْنَاهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ وَأَعْطَوْنَا عَهْدَ اللهِ، وَإِنَّا لَا نَغْدِرُ بِهِمْ**» ﷺ(٢).

---

(١) الرَّسْفُ والرَّسِيفُ: مَشيُ المُقَيَّد إِذَا جَاءَ يتحاملُ برِجْله مَعَ القَيد.
انظر: «**النهاية في غريب الحديث**»: (٢/ ٢٢٢)، و«**لسان العرب**»: (٩/ ١١٨-١١٩)، مادة: (رسف).

(٢) أخرجه ابن هشام في «**السيرة**»: (٢/ ٣١٦-٣١٨) والسياق له، وأحمد في «**المسند**»: (٤/ ٣٢٣-٣٢٤)، والطبري في «**تاريخه**»: (٢/ ٦٣٣-٦٣٤)، والبيهقي في «**السنن الكبرىٰ**»: (٩/ ٢٢٢، رقم ١٨٨٠٩)، وفي «**الدلائل**»: (٤/ ١٤٥)، بإسناد صحيح.
والحديث أصله في «**صحيح البخاري**»: (٥/ ٣٢٩-٣٣٣، رقم ٢٧٣١)، بنحوه.

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَىٰ جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ؛ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَىٰ اللهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ قَالَ: **«اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ وَفِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مِنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا** -أَيْ: طِفْلًا-، **وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَىٰ ثَلَاثِ خِصَالٍ** -أَوْ قَالَ: **خِلَالٍ**-؛ **فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَىٰ دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَىٰ الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ»**(١).

عَنْ عُقْبَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَحَقُّ مَا أَوْفَيْتُمْ مِنَ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ**»(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم: (٣/ ١٣٥٦-١٣٥٨، رقم ١٧٣١).

(٢) أخرجه البخاري: (٩/ ٢١٧، رقم ٥١٥١)، ومسلم: (٢/ ١٠٣٥، رقم ١٤١٨).

(٣) أخرجه أحمد: (٥/ ٣٢٣، رقم ٢٢٧٥٧)، وابن حبان: (١/ ٥٠٦، رقم ٢٧١)، والحاكم: (٤/ ٣٥٨-٣٥٩، رقم ٨٠٦٦)، والبيهقي في «**السنن الكبرىٰ**»: (٦/ ٢٨٨، رقم ١٢٦٩١).

=

عَنْ وَهْبِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّ أَبَاهُ تُوفِّيَ وَتَرَكَ عَلَيْهِ ثَلَاثِينَ وَسْقًا لِرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَاسْتَنْظَرَهُ جَابِرٌ فَأَبَىٰ أَنْ يُنْظِرَهُ، فَكَلَّمَ جَابِرٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِيَشْفَعَ لَهُ إِلَىٰ الْيَهُودِيِّ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَكَلَّمَ الْيَهُودِيَّ لِيَأْخُذَ تَمْرَ نَخْلِهِ بِالتَّي لَهُ؛ فَأَبَىٰ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّخْلَ فَمَشَىٰ فِيهَا، ثُمَّ قَالَ لِجَابِرٍ: «**جُدَّ لَهُ فَأَوْفِ لَهُ الَّذِي لَهُ**»، فَجَدَّهُ بَعْدَمَا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَوْفَاهُ ثَلَاثِينَ وَسْقًا، وَفَضَلَتْ لَهُ سَبْعَةَ عَشَرَ وَسْقًا، فَجَاءَ جَابِرٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُ بِالَّذِي كَانَ، فَوَجَدَهُ يُصَلِّي الْعَصْرَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَخْبَرَهُ بِالْفَضْلِ، فَقَالَ: «**أَخْبِرْ ذَلِكَ ابْنَ الْخَطَّابِ**»، فَذَهَبَ جَابِرٌ إِلَىٰ عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ عَلِمْتُ حِينَ مَشَىٰ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيُبَارَكَنَّ فِيهَا». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ(١).

وَأَخْرَجَ(٢) بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ الْمُتَوَفَّىٰ عَلَيْهِ الدَّيْنُ، فَيَسْأَلُ: «**هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ فَضْلًا؟**».

فَإِذَا حُدِّثَ أَنَّهُ تَرَكَ لِدَيْنِهِ وَفَاءً صَلَّىٰ، وَإِلَّا قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: «**صَلُّوا عَلَىٰ صَاحِبِكُمْ**».

فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ الْفُتُوحَ قَالَ: «**أَنَا أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوُفِّيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَرَكَ دَيْنًا فَعَلَيَّ قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ**».

=

والحديث صححه لغيره الألباني في «**الصحيحة**»: (٣/ ٤٥٤-٤٥٥، رقم ١٤٧٠).

(١) أخرجه البخاري: (٥/ ٦٠، رقم ٢٣٩٦).

(٢) «**صحيح البخاري**»: (٤/ ٤٧٧، رقم٢٢٩٨)، وأخرجه -أيضًا- مسلم: (٣/ ١٢٣٧-١٢٣٨، رقم ١٦١٩).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ أَنَّهُ كَانَ بِالشَّامِ فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدِمُوا تُجَّارًا فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ...» الْحَدِيثَ.

وَفِيهِ قَالَ -يَعْنِي: قَيْصَرَ-: فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَانَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ.

فَقَالَ لِتَرْجُمَانِهِ حِينَ قُلْتُ ذَلِكَ لَهُ: قُلْ لَهُ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فِيكُمْ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ ذُو نَسَبٍ، وَكَذَا الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا، وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ قُلْتُ: رَجُلٌ يَأْتَمُّ بِقَوْلٍ قَدْ قِيلَ قَبْلَهُ.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الْكَذِبَ عَلَىٰ النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَىٰ اللهِ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ قُلْتُ: يَطْلُبُ مُلْكَ آبَائِهِ.

وَسَأَلْتُكَ: أَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ يَتِمَّ.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، فَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تَخْلِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ لَا يَسْخَطُهُ أَحَدٌ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَغْدِرُ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا يَغْدِرُونَ.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ وَقَاتَلَكُمْ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ قَدْ فَعَلَ، وَأَنَّ حَرْبَكُمْ وَحَرْبَهُ تَكُونُ دُوَلًا، وَيُدَالُ عَلَيْكُمْ الْمَرَّةَ وَتُدَالُونَ عَلَيْهِ الْأُخْرَىٰ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ؛ تُبْتَلَىٰ وَتَكُونُ لَهَا الْعَاقِبَةُ.

وَسَأَلْتُكَ: بِمَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَاكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ.

قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ النَّبِيِّ قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، وَلَكِنْ لَمْ أَعْلَمْ أَنَّهُ مِنْكُمْ، وَإِنْ يَكُ مَا قُلْتَ حَقًّا فَيُوشِكُ أَنْ يَمْلِكَ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَلَوْ أَرْجُو أَنْ أَخْلُصَ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ قَدَمَيْهِ»، صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ. الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ.. فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّىٰ مَاتَتْ؛ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟

---

(١) «صحيح البخاري»: (١/ ٣١-٣٣، رقم ٧)، و«صحيح مسلم»: (٣/ ١٣٩٣-١٣٩٧، رقم ١٧٧٣).

فَقَالَ: «**نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَىٰ أُمِّكَ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَتَهُ؟ اقْضُوا اللهَ؛ فَاللهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

فَهَذَا نَبِيُّ الْوَفَاءِ، صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ.

وَعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه **قَالَ**: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي نَذَرْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ أَعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَوْفِ بِنَذْرِكَ**»، فَاعْتَكَفَ لَيْلَةً. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

وَعَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رضي الله عنها **قَالَتْ**: «أَخَذَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ الْبَيْعَةِ أَلَّا نَنُوحَ، فَمَا وَفَتْ مِنَّا امْرَأَةٌ غَيْرَ خَمْسِ نِسْوَةٍ: أُمِّ سُلَيْمٍ، وَأُمِّ الْعَلَاءِ وَابْنَةِ أَبِي سَبْرَةَ امْرَأَةِ مُعَاذٍ، وَامْرَأَتَيْنِ، أَوِ ابْنَةِ أَبِي سَبْرَةَ، وَامْرَأَةِ مُعَاذٍ، وَامْرَأَةٍ أُخْرَىٰ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.. فَذَكَرَ أَحَادِيثَ؛ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اشْتَرَىٰ رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ** -وَهِيَ الْأَرْضُ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا-، **فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَىٰ الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَىٰ الْعَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ.**

فَقَالَ الَّذِي شَرَىٰ الْأَرْضَ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا!

---

(١) أخرجه البخاري: (٤/ ٦٤، رقم ١٨٥٢) بهذا اللفظ، وأخرجه -أيضًا- مسلم: (٢/ ٨٠٤، رقم ١١٤٨)، وفي روايته: «الصوم» بدلا من: «الحج».

(٢) أخرجه البخاري: (٤/ ٢٧٤، رقم ٢٠٣٢)، ومسلم: (٣/ ١٢٧٧-١٢٧٨، رقم ١٦٥٦).

(٣) أخرجه البخاري: (٣/ ١٧٦، رقم ١٣٠٦)، ومسلم: (٢/ ٦٤٥-٦٤٦، رقم ٩٣٦).

قَالَ: فَتَحَاكَمَا إِلَىٰ رَجُلٍ، فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟

فَقَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ، وَقَالَ الْآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ.

قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَّخِذُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ آذَيْتُهُ؛ شَتَمْتُهُ، لَعَنْتُهُ، جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلَاةً وَزَكَاةً وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ.

فَقَالَ: كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا!

قَالَ: فَأْتِنِي بِالْكَفِيلِ.

فَقَالَ: كَفَىٰ بِاللهِ كَفِيلًا!

قَالَ: صَدَقْتَ..

فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّىٰ، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَىٰ حَاجَتَهُ، ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ

---

(١) أخرجه البخاري: (٦/ ٥١٢-٥١٣، رقم ٣٤٧٢)، ومسلم: (٣/ ١٣٤٥، رقم ١٧٢١).

(٢) أخرجه البخاري: (١١/ ١٧١، رقم ٦٣٦١)، ومسلم: (٤/ ٢٠٠٨-٢٠٠٩، رقم ٢٦٠١).

خَشَبَةً فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَىٰ صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَىٰ بِهَا إِلَىٰ الْبَحْرِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلًا فَقُلْتُ: كَفَىٰ بِاللهِ كَفِيلًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا فَقُلْتُ: كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِذَلِكَ، وَإِنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا.. فَرَمَىٰ بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّىٰ وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ بِهِ إِلَىٰ بَلَدِهِ.

فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ فَأَتَىٰ بِالْأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ.

قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟

قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ.

قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَدَّىٰ عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالْأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ(١). (*).

---

(١) أخرجه البخاري: (٤/ ٤٦٩، رقم ٢٢٩١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْوَفَاءُ وَالْغَدْرُ» - الْجُمُعَةُ ٣ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٨هـ| ٣١-٣-٢٠١٧م.

النَّبِيُّ ﷺ مُعَلِّمُ البَشَرِيَّةِ الوَفَاءَ..

فَوَفَاؤُهُ وَفَاؤُهُ ﷺ.

وَإِذَا صُحِبْتَ رَأَىٰ الْوَفَاءَ مُجَسَّمَا فِي بُرْدِكَ الْأَصْحَابُ وَالْخُلَطَاءُ

وَإِذَا أَخَذْتَ الْعَهْدَ أَوْ أَعْطَيْتَهُ فَجَمِيعُ عَهْدِكَ ذِمَّةٌ وَوَفَاءُ

صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «خُلُقُ الْوَفَاءِ» - ٧ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ ١٤٢٧هـ| ٥-٥-٢٠٠٦م.

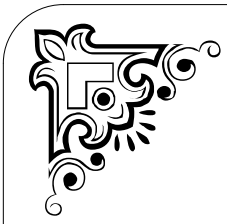

مَثَلٌ مَضْرُوبٌ فِي الْوَفَاءِ!!

يَقُولُ الْعَرَبُ فِي أَمْثَالِهِمْ: «أَوْفَىٰ مِنَ السَّمَوْأَلِ».. فَصَارَ مَثَلًا.

«وَالسَّمَوْأَلُ هُوَ ابْنُ حَيَّانَ بْنِ عَادِيَا الْيَهُودِيُّ، وَكَانَ مِنْ وَفَائِهِ: أَنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ لَمَّا أَرَادَ الْخُرُوجَ إِلَىٰ قَيْصَرَ اسْتَوْدَعَ السَّمَوْأَلَ دُرُوعًا وَأَحِيحَةَ بْنَ الْجُلَاحِ -أَيْضًا- دُرُوعًا.

فَلَمَّا مَاتَ امْرُؤُ الْقَيْسِ غَزَاهُ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الشَّامِ فَتَحَرَّزَ مِنْهُ السَّمَوْأَلُ، فَأَخَذَ الْمَلِكُ ابْنًا لَهُ وَكَانَ خَارِجًا مِنَ الْحِصْنِ، فَصَاحَ الْمَلِكُ بِالسَّمَوْأَلِ فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: هَذَا ابْنُكَ فِي يَدَيَّ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ ابْنُ عَمِّي وَمِنْ عَشِيرَتِي، وَأَنَا أَحَقُّ بِمِيرَاثِهِ، فَإِنْ دَفَعْتَ إِلَيَّ الدُّرُوعَ وَإِلَّا ذَبَحْتُ ابْنَكَ.

فَقَالَ: أَجِّلْنِي.. فَأَجَّلَهُ، فَجَمَعَ أَهْلَ بَيْتِهِ وَنِسَاءَهُ فَشَاوَرَهُمْ، فَكُلٌّ أَشَارَ عَلَيْهِ أَنْ يَدْفَعَ الدُّرُوعَ وَيَسْتَنْقِذَ ابْنَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَشْرَفَ عَلَىٰ الْمَلِكِ وَقَالَ: لَيْسَ إِلَىٰ دَفْعِ الدُّرُوعِ سَبِيلٌ، فَاصْنَعْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ!!

فَذَبَحَ الْمَلِكُ ابْنَهُ وَهُوَ مُشْرِفٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ الْمَلِكُ بِالْخَيْبَةِ، فَوَافَىٰ السَّمَوْأَلُ بِالدُّرُوعِ الْمَوْسِمَ فَدَفَعَهَا إِلَىٰ وَرَثَةِ امْرَئِ الْقَيْسِ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ:

وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ الْكِنْدِيِّ إِنِّي ... إِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ

وَقَـالُوا: عِنْـدَهُ كَنْـزٌ رَغِيـبٌ وَلَا وَاللهِ أَغْـدِرُ مَـا مَشَـيْتُ
بَنَىٰ لِـي عَادِيَـا حِصْـنًا حَصِـينًا وَبِئْـرًا كُلَّمَـا شِـئْتُ اسْـتَقَيْتُ
طِمَـرًّا تَزْلِـقُ الْعِقْبَـانُ عَنْـهُ إِذَا مَـا نَـابَنِي ظُلْـمٌ أَبَيْـتُ

وَيُرْوَىٰ:

.... إِذَا مَـا سَـامَنِي ضَـيْمٌ أَبَيْـتُ

وَقَدْ تَنَاوَلَ الْأَعْشَىٰ هَذِهِ الْحَادِثَةَ وَمَا صَارَ إِلَيْهِ السَّمَوْأَلُ مِنْ مَضْرِبِ الْمَثَلِ فِي الْوَفَاءِ، فَقَالَ:

شُـرَيْحٌ لَا تَتْرُكَنِّـي بَعْـدَمَا عَلِقَـتْ حِبَالُـكَ الْيَـوْمَ بَعْـدَ الْقِـدِّ أَظْفَـارِي
كُـنْ كَالسَّـمَوْأَلِ إِذْ طَـافَ الْهُمَـامُ بِـهِ فِـي جَحْفَـلٍ كَسَـوَادِ اللَّيْـلِ جَـرَّارِ
بِـالْأَبْلَقِ الْفَـرْدِ مِـنْ تَيْمَـاءَ مَنْزِلُـهُ حِصْـنٌ حَصَـينٌ وَجَـارٌ غَيْـرُ غَـدَّارِ
إِذْ سَـامَهُ خُطَّتَـيْ خَسْـفٍ فَقَـالَ لَـهُ مَهْمَـا تَقُلْـهُ فَـإِنِّي سَـامِعٌ حَـارِ

وَحَارِ: تَرْخِيمُ حَارِثٍ.

فَقَـالَ: غَـدْرٌ وَثُكْـلٌ أَنْـتَ بَيْنَهُمَـا فَـاخْتَرْ وَمَـا فِيهِمَـا حَـظٌّ لِمُخْتَـارِ
فَشَـكَّ غَيْـرَ طَوِيـلٍ ثُـمَّ قَـالَ لَـهُ اذْبَـحْ أَسِـيرَكَ إِنِّـي مَـانِعٌ جَـارِي
هَـذَا لَـهُ خَلَـفٌ إِنْ كُنْـتَ قَاتِلَـهُ وَإِنْ قَتَلْـتَ كَرِيمًـا غَيْـرَ خَـوَّارِ
فَقَـالَ تَقْدِمَـةً إِذْ قَـامَ يَقْتُلُـهُ أَشْرِفْ سَمَوْأَلُ فَانْظُرْ لِلدَّمِ الْجَارِي
أَأَقْتُـلُ ابْنَـكَ صَـبْرًا أَوْ تَجِـيءُ بِـهِ طَوْعًـا؟ فَـأَنْكَرَ هَـذَا أَيَّ إِنْكَـارِ
فَشَكَّ أَوْدَاجَهُ وَالصَّدْرُ فِي مَضَضٍ عَلَيْـهِ مُنْطَوِيًـا كَاللَّـذْعِ بِالنَّـارِ

وَاخْتَارَ أَدْرَاعَهُ أَلَّا يُسَبَّ بِهَا ... وَلَمْ يَكُنْ عَهْدُهُ فِي غَيْرِ مُخْتَارِ
وَقَالَ لَا أَشْتَرِي عَارًا بِمُكْرُمَةٍ ... فَاخْتَارَ مَكْرُمَةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْعَارِ
وَالصَّبْرُ مِنْهُ قَدِيمًا شِيمَةٌ خُلُقٌ ... وَزَنْدُهُ فِي الْوَفَاءِ الثَّاقِبُ الْوَارِي[1](*)

وَقَدْ كَانَ فَتًىٰ لَبِيبٌ يَخْدُمُ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ مَرْوٍ عِنْدَهُ كِلَابٌ جَوَارِحُ يَرْمِي إِلَيْهَا بِمَنْ يَغْضَبُ عَلَيْهِ مِنْ رَعِيَّتِهِ، فَخَافَ ذَلِكَ الْفَتَىٰ أَنْ يَتَنَكَّرَ لَهُ الْمَلِكُ يَوْمًا؛ فَأَخَذَ يُحْسِنُ إِلَىٰ تِلْكَ الْكِلَابِ حَتَّىٰ ارْتَاضَتْ لَهُ وَأَلِفَتْهُ، وَصَحَّ ظَنُّهُ فَغَضِبَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ يَوْمًا، وَأَمَرَ أَنْ يُرْمَىٰ بِهِ إِلَىٰ تِلْكَ الْحَيَوَانَاتِ الْجَارِحَةِ السَّفَّاكَةِ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَفْعَلْ بِهِ سُوءًا وَلَا أَصَابَتْهُ بِأَذًىٰ!!

وَحِينَ تَعَجَّبَ ذَلِكَ الْمَلِكُ مِنْ أَمْرِهِ، أَجَابَهُ الْفَتَىٰ هَذِهِ الْإِجَابَةَ الْقَاسِيَةَ: طَالَمَا أَطْعَمْتُ هَذِهِ الْكِلَابَ فَغَدَتْ لِي صَدِيقًا، وَقَدْ أَمْضَيْتُ عَشْرَ سَنَوَاتٍ لَكَ غُلَامًا فَأَسْلَمْتَنِي إِلَىٰ الْكِلَابِ لِهَفْوَةٍ ظَنَنْتَهَا بَدَرَتْ مِنِّي!!

الْكِلَابُ رَحِمَتْنِي حَيْثُ لَمْ تَرْحَمْنِي، وَرَعَتْ حَقِّي حَيْثُ لَمْ تَرْعَ، وَالْكِلَابُ تُسَالِمُ مِنْ أَجْلِ عَظْمَةٍ تُرْمَىٰ لَهَا، وَالْخَسِيسُ لَا يَفِي وَلَوْ فَدَيْتَهُ بِالرُّوحِ!![*/٢].

❀❀❀

(١) «مجمع الأمثال»: (٢/ ٣٧٤-٣٧٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْوَفَاءُ وَالْغَدْرُ» - الْجُمُعَةُ ٣ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٨هـ| ٣١-٣-٢٠١٧م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْوَفَاءُ وَالْغَدْرُ» - الْجُمُعَةُ ٣ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٨هـ| ٣١-٣-٢٠١٧م.

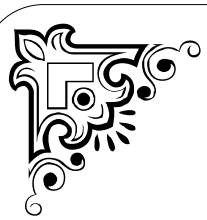

حِفْظُ الْجَمِيلِ فِي الْإِسْلَامِ

إِنَّ دِينَنَا الْإِسْلَامِيَّ الْحَنِيفَ دِينٌ يَحُثُّ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَيَدْعُو إِلَيْهَا؛ لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَ لِيُتَمِّمَ تِلْكَ الْمَكَارِمَ، وَيُعْلِيَ مِنْ شَأْنِهَا؛ فَقَدْ قَالَ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالْحَاكِمُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**»(١).

وَ سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ شَيْءٍ يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «**تَقْوَىٰ اللهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ**»(٢). (*).

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند»: (٢/ ٣٨١، رقم ٨٩٥٢)، والبخاري في «الأدب المفرد»: (ص ٧٨، رقم ٢٧٣)، والبزار في «المسند»: (١٥/ ٣٦٤، رقم ٨٩٤٩)، والحاكم في «المستدرك»: (٢/ ٦١٣، رقم ٤٢٢١)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ»: (١٠/ ١٩١ - ١٩٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**». وفي رواية البزار بلفظ: «... **مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**».
قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، وكذا صححه الألباني في «الصحيحة»: (١/ ١١٢، رقم ٤٥).

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع»: كتاب البر: باب ما جاء في حسن الخلق، (٢٠٠٤)، وابن ماجه في «السنن»: كتاب الزهد: باب ذكر الذنوب، (٤٢٤٦).
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»، وحسن إسناده الألباني في «الصحيحة»: (٢/ ٦٦٩، رقم ٩٧٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «حُسْنُ الْخُلُقِ ١» – الْجُمُعَةُ: ٣-١١-١٩٩٥م.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا**»(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ، وَأَحْمَدُ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.(*).

وَمِنْ حُسْنِ أَخْلَاقِ الْمُسْلِمِ: حِفْظُ الْمَعْرُوفِ، وَرَدُّ الْجَمِيلِ، وَمُقَابَلَةُ الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ، وَالْمُكَافَأَةُ لِلْمَعْرُوفِ بِمِثْلِهِ أَوْ أَحْسَنَ مِنْهُ، وَالدُّعَاءُ لِصَاحِبِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

«أَحْسِنْ بِطَاعَةِ اللهِ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ بِنِعْمَتِهِ»(٣).

«وَأَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ بِالصَّدَقَةِ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ بِهَذِهِ الْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ»(٤).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

---

(١) أخرجه أبو داود في «السنن»: كتاب السنة: بَابُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ، (٤٦٨٢)، والترمذي في «الجامع»: أبواب الرضاع: بَابُ مَا جَاءَ فِي حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَىٰ زَوْجِهَا، (١١٦٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وصححه لغيره الألباني في «الصحيحة»: (١/ ٥٧٣، رقم ٢٨٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «حُسْنُ الْخُلُقِ ٢» - الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٨هـ| ٢٣-٧-٢٠١٧م.

(٣) «تفسير البغوي» (٣/ ٥٤٤).

(٤) «التفسير الميسر» (ص٣٩٤).

«هَلْ جَزَاءُ مَنْ أَحْسَنَ فِي عِبَادَةِ الْخَالِقِ وَنَفْعِ عَبِيدِهِ إِلَّا أَنْ يُحْسِنَ إِلَيْهِ بِالثَّوَابِ الْجَزِيلِ، وَالْفَوْزِ الْكَبِيرِ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، وَالْعَيْشِ السَّلِيمِ»(١).

وَأَوْلَى وَأَحَقُّ مَنْ يُشْكَرُ عَلَى مَعْرُوفِهِ وَفَضْلِهِ، وَيُحْمَدُ عَلَى مِنَنِهِ وَنِعَمِهِ الْمُتَوَاتِرَةِ الْمُتَكَاثِرَةِ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُ عَادٌّ عَدَّهَا وَلَا مُحْصٍ إِحْصَاءَهَا إِنَّمَا هُوَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَالشُّكْرُ لِلهِ يَكُونُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **وَالْخُضُوعِ بَيْنَ يَدَيْهِ بِأَدَاءِ أَوَامِرِهِ، وَالِابْتِعَادِ عَنْ نَوَاهِيهِ، وَهُوَ الْعِبَادَةُ لَهُ -سُبْحَانَهُ-، فَهَذَا هُوَ الشُّكْرُ الْحَقِيقِيُّ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:** ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

«لَمَّا ذَكَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا مِنَّتَهُ عَلَىٰ آلِ دَاوُدَ أَمَرَهُمْ بِشُكْرِهَا فَقَالَ: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ﴾: وَهُمْ دَاوُدُ وَأَوْلَادُهُ وَأَهْلُهُ؛ لِأَنَّ الْمِنَّةَ عَلَىٰ الْجَمِيعِ، وَكَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الْمَصَالِحِ عَائِدٌ لِكُلِّهِمْ ﴿شُكْرًا ۚ﴾ **لِلَّهِ عَلَىٰ مَا أَعْطَاهُمْ**، وَمُقَابَلَةً لِمَا أَوْلَاهُمْ. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ فَأَكْثَرُهُمْ لَمْ يَشْكُرُوا اللهَ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ مَا أَوْلَاهُمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَدَفَعَ عَنْهُمْ مِنَ النِّقَمِ.

وَالشُّكْرُ: اعْتِرَافُ الْقَلْبِ بِمِنَّةِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَتَلَقِّيهَا افْتِقَارًا إِلَيْهَا، وَصَرْفُهَا فِي طَاعَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَصَوْنُهَا عَنْ صَرْفِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ»(٢).

وَانْظُرْ إِلَى حَالِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ يُقَابِلُونَ النِّعَمَ بِالشُّكْرِ وَالثَّنَاءِ، وَيَجْتَهِدُونَ فِي عِبَادَةِ اللهِ ﷻ**، قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَنْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ** عليه السلام:

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٨٣١).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٦٧٦).

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢١].

«إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ إِمَامًا فِي الْخَيْرِ، وَكَانَ طَائِعًا خَاضِعًا للهِ، لَا يَمِيلُ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ مُوَحِّدًا للهِ غَيْرَ مُشْرِكٍ بِهِ، **وَكَانَ شَاكِرًا لِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ**، اخْتَارَهُ اللهُ لِرِسَالَتِهِ، وَأَرْشَدَهُ إِلَىٰ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ، وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا نِعْمَةً حَسَنَةً؛ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ، وَالْقُدْوَةِ بِهِ، وَالْوَلَدِ الصَّالِحِ، وَإِنَّهُ عِنْدَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ لِمَنَ الصَّالِحِينَ أَصْحَابِ الْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ»(١).

وَلَمَّا رَزَقَهُ اللهُ الْوَلَدَ عَلَىٰ كِبَرِ سِنِّهِ قَالَ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

«يُثْنِي إِبْرَاهِيمُ عَلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ-، فَيَقُولُ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي رَزَقَنِي عَلَىٰ كِبَرِ سِنِّي وَلَدَيَّ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ بَعْدَ دُعَائِي أَنْ يَهَبَ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ، إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ مِمَّنْ دَعَاهُ، وَقَدْ دَعَوْتُهُ وَلَمْ يُخَيِّبْ رَجَائِي»(٢).

وَهَذَا دَاوُدُ وَابْنُهُ سُلَيْمَانُ -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- أَعْطَاهُمُ اللهُ مُلْكًا لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، أَخْبَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنْهُمْ فَقَالَ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل: ١٥].

«يَذْكُرُ اللهُ فِي هَذَا الْقُرْآنِ وَيُنَوِّهُ بِمِنَّتِهِ عَلَىٰ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ابْنِهِ بِالْعِلْمِ الْوَاسِعِ الْكَثِيرِ؛ بِدَلِيلِ التَّنْكِيرِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ

---

(١) «التفسير الميسر» (ص٢٨١).

(٢) «التفسير الميسر» (ص٢٦٩).

إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ [الأنبياء: ٧٨- ٧٩] الْآيَةَ.

وَقَالا شَاكِرَيْنِ لِرَبِّهِمَا مِنَّتَهُ الْكُبْرَىٰ بِتَعْلِيمِهِمَا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥]، فَحَمِدَا اللهَ عَلَىٰ جَعْلِهِمَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَنَّهُمَا كَانَا مِنْ خَوَاصِّهِمْ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ أَرْبَعُ دَرَجَاتٍ: الصَّالِحُونَ، ثُمَّ فَوْقَهُمُ الشُّهَدَاءُ، ثُمَّ فَوْقَهُمُ الصِّدِّيقُونَ، ثُمَّ فَوْقَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، وَدَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ مِنْ خَوَاصِّ الرُّسُلِ وَإِنْ كَانُوا دُونَ دَرَجَةِ أُولِي الْعَزْمِ الْخَمْسَةِ، لَكِنَّهُمْ مِنْ جُمْلَةِ الرُّسُلِ الْفُضَلَاءِ الْكِرَامِ الَّذِينَ نَوَّهَ اللهُ بِذِكْرِهِمْ وَمَدْحِهِمْ فِي كِتَابِهِ مَدْحًا عَظِيمًا، فَحَمِدُوا اللهَ عَلَىٰ بُلُوغِ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ، **وَهَذَا عُنْوَانُ سَعَادَةِ الْعَبْدِ: أَنْ يَكُونَ شَاكِرًا لِلَّهِ عَلَىٰ نِعَمِهِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، وَأَنْ يَرَىٰ جَمِيعَ النِّعَمِ مِنْ رَبِّهِ،** فَلَا يَفْخَرُ بِهَا وَلَا يُعْجَبُ بِهَا، بَلْ يَرَىٰ أَنَّهَا تَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ شُكْرًا كَثِيرًا»(١).

وَهَذَا لُقْمَانُ أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

«يُخْبِرُ -تَعَالَىٰ- عَنِ امْتِنَانِهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْفَاضِلِ لُقْمَانَ بِالْحِكْمَةِ، وَهِيَ الْعِلْمُ بِالْحَقِّ عَلَىٰ وَجْهِهِ وَحِكْمَتِهِ، فَهِيَ الْعِلْمُ بِالْأَحْكَامِ وَمَعْرِفَةُ مَا فِيهَا مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْأَحْكَامِ، فَقَدْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ عَالِمًا، وَلَا يَكُونُ حَكِيمًا.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٦٠٢).

وَأَمَّا الْحِكْمَةُ فَهِيَ مُسْتَلْزِمَةٌ لِلْعِلْمِ، بَلْ وَلِلْعَمَلِ، وَلِهَذَا فُسِّرَتِ الْحِكْمَةُ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَلَمَّا أَعْطَاهُ اللهُ هَذِهِ الْمِنَّةَ الْعَظِيمَةَ أَمَرَهُ أَنْ يَشْكُرَهُ عَلَىٰ مَا أَعْطَاهُ؛ لِيُبَارِكَ لَهُ فِيهِ، وَلِيَزِيدَهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَأَخْبَرَهُ **أَنَّ شُكْرَ الشَّاكِرِينَ، يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّ مَنْ كَفَرَ فَلَمْ يَشْكُرِ اللهَ، عَادَ وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ.**

وَاللهُ ﴿غَنِيٌّ﴾ عَنْهُ ﴿حَمِيدٌ﴾ فِيمَا يُقَدِّرُهُ وَيَقْضِيهِ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، فَغِنَاهُ -تَعَالَىٰ- مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ، وَكَوْنُهُ حَمِيدًا فِي صِفَاتِ كَمَالِهِ، حَمِيدًا فِي جَمِيلِ صُنْعِهِ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْوَصْفَيْنِ صِفَةُ كَمَالٍ، وَاجْتِمَاعُ أَحَدِهِمَا إِلَىٰ الْآخَرِ زِيَادَةُ كَمَالٍ إِلَىٰ كَمَالٍ»(١).

وَأَمَّا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ فَقَدْ كَانَ عَلَى الْقِمَّةِ الشَّمَّاءِ فِي شُكْرِ اللهِ -تَعَالَى-؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ حَتَّىٰ تَتَوَرَّمَ قَدَمَاهُ، فَإِذَا رُوجِعَ قَالَ: «**أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا**» ﷺ(٢). (*).

إِنَّ حِفْظَ الْجَمِيلِ خُلُقٌ جَلِيلٌ؛ بَلْ هُوَ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَوْفِيَاءِ الْكِبَارِ الَّذِينَ لَا يَنْسُونَ الْمَعْرُوفَ وَلَوْ طَالَتْ بِهِمُ الْأَعْمَارُ، فَلَا يَزَالُ الْكَرِيمُ أَسِيرًا لِصَاحِبِ الْجَمِيلِ، يُظْهِرُ لَهُ

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٦٤٨).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (التَّفْسِيرِ، سُورَةِ ٤٨: بَابِ ٢: ٢، رَقْم ٤٨٣٧)، وَمُسْلِمٌ (صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ، ١٨: ٣، رَقْم ٢٨٢٠)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «وَمَاذَا بَعْدَ رَمَضَانَ؟» - الْجُمُعَةِ ١ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣١هـ| الْمُوَافِقِ ١٠-٩-٢٠١٠م.

الْوُدَّ، وَيُمْطِرُهُ بِالثَّنَاءِ الْجَزِيلِ، وَأَمَّا اللَّئِيمُ فَهُوَ يَتَجَافَى عَنْ أَصْحَابِ الْعَطَايَا الْكَبِيرَةِ؛ لِأَنَّهُ يَظُنُّ أَنَّهُمْ إِنَّمَا أَحْسَنُوا إِلَيْهِ لِمَصَالِحِ الدُّنْيَا الْحَقِيرَةِ(١)**، وَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ عَلَى حِفْظِ الْجَمِيلِ، وَمُكَافَأَةِ صَاحِبِ الْمَعْرُوفِ**؛ فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَلْيَجْزِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ مَا يَجْزِيهِ فَلْيُثْنِ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ إِذَا أَثْنَىٰ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَإِنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ، وَمَنْ تَحَلَّىٰ بِمَا لَمْ يُعْطَ فَكَأَنَّمَا لَبِسَ ثَوْبَيْ زُورٍ**»(٢). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ».

---

(١) من خطبة بعنوان: «رد الجميل».

(٢) أَخْرَجَهُ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ فِي «الْمُنْتَخَبِ» (١١٤٧)، وَالطَّبَرِيُّ فِي «تَهْذِيبِ الْآثَارِ» (مُسْنَدِ عُمَرَ) (١٠٢) (١٠٣) (١٠٤)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الْآدَابِ» (١٩٦)، وَفِي «الْكُبْرَىٰ» (١٢٠٣١)، وَفِي «الشُّعَبِ» (٨٦٨٨)، وَالْبَغَوِيُّ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» (٣٦٠٩)، مِنْ طَرِيقِ: يَحْيَىٰ بْنِ أَيُّوبَ.

وَأَخْرَجَهُ الْحَارِثُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٩١٣)، وَالْخَطِيبُ فِي «تَارِيخِ بَغْدَادَ» (١١/ ٣٣٧) (ت: ٥١٩٨)، مِنْ طَرِيقِ: إِبْرَاهِيمَ بْنِ طَهْمَانَ.

كِلَاهُمَا (يَحْيَىٰ بْنُ أَيُّوبَ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ) عَنْ عُمَارَةَ بْنِ غُزَيَّةَ، عَنْ شُرَحْبِيلَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ جَابِرٍ، بِهِ.

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ (٣٤١٥)، وَالْقُضَاعِيُّ فِي «مُسْنَدِ الشِّهَابِ» (٤٨٥)، مِنْ طَرِيقِ: زَيْدِ بْنِ أَبِي أُنَيْسَةَ، عَنْ شُرَحْبِيلَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ جَابِرٍ، بِهِ.

وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٨١٣)، وَأَبُو يَعْلَىٰ فِي «الْمُسْنَدِ» (٢١٣٧)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الْآدَابِ» (١٩٦)، وَفِي «الْكُبْرَىٰ» (١٢٠٣٠)، وَفِي «الشُّعَبِ» (٨٦٨٧)، مِنْ طَرِيقِ: بِشْرِ بْنِ الْمُفَضَّلِ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ غُزَيَّةَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِي، عَنْ جَابِرٍ، بِهِ.

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ فِي «الْعِلَلِ» (٦/ ٢٣٣) (٢٤٦٩): «هَذَا الرَّجُلُ هُوَ: شُرَحْبِيلُ بْنُ

«**مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَلْيَجْزِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ مَا يَجْزِيهِ فَلْيُثْنِ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ إِذَا أَثْنَىٰ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَإِنْ كَتَمَهُ..**»؛ «**وَإِنْ كَتَمَهُ**»؛ أَيْ: أَخْفَىٰ الْمَعْرُوفَ، وَلَمْ يُظْهِرْهُ لِلنَّاسِ فَقَدْ كَفَرَهُ، «**فَقَدْ كَفَرَهُ**»: الْكُفْرُ أَنْوَاعٌ، وَالْمَقْصُودُ بِهِ هُنَا: الْجُحُودُ وَالتَّغْطِيَةُ.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ: الْمُكَافَأَةُ عَلَىٰ الْهَدِيَّةِ، وَذَلِكَ مَطْلُوبٌ طَلَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَيُقْتَدَىٰ بِهِ فِيهِ ﷺ، وَيَجِبُ عَلَىٰ غَيْرِ الْمُسْتَطِيعِ الْمَدْحُ وَالدُّعَاءُ وَالثَّنَاءُ الْحَسَنُ؛ جَزَاءَ الْإِحْسَانِ، وَعِوَضًا مِنَ الْمَعْرُوفِ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ أَتَىٰ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ، حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**»(١). الْحَدِيثُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ

=

سَعْدٍ».

وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٠٣٤)، وَأَبُو الشَّيْخِ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي «الْأَمْثَالِ» (٦٣)، وَابْنُ عَسَاكِرَ فِي «الْمُعْجَمِ» (١/ ٦٦) (٦٤)، مِنْ طَرِيقِ: إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَيَّاشٍ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ غُزَيَّةَ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، بِهِ.

قَالَ أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ فِي «الْعِلَلِ» (٦/ ٣٣٦) (٢٥٦٩): «هَذَا خَطَأٌ، إِنَّمَا هُوَ: عُمَارَةُ بْنُ غُزَيَّةَ، عَنْ شُرَحْبِيلَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» (١١/ ٣٧٠) (٨٦٨٨): «وَرَوَاهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ غُزَيَّةَ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، وَغَلَطَ فِيهِ».

وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ» (٦١٧).

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٥٣٦٥) (٥٧٠٣) (٥٧٤٣) (٦١٠٦)، وَأَبُو دَاوُدَ (١٦٧٢) (٥١٠٩)، وَالنَّسَائِيُّ (٢٥٦٧)، وَفِي «الْكُبْرَىٰ» (٢٣٥٩)، وَابْنُ حِبَّانَ (٣٣٧٥) (٣٤٠٨)

=

فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَأَخْرَجَهُ -أَيْضًا- أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ، وَسَلَكَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السَّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ».

«**مِنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ**»: مُسْتَجِيرًا بِهِ مِنْ أَذَاكُمْ، أَوْ أَذَىٰ غَيْرِكُمْ، أَوْ مُتَوَسِّلًا بِاللهِ تَعَالَىٰ مُسْتَعْطِفًا بِهِ فَأَعِيذُوهُ، «**فَأَعِيذُوهُ**» أَيْ: ارْفَعُوا عَنْهُ الْأَذَىٰ، وَاجْعَلُوهُ فِي حِصْنِكُمْ.

«**مَنْ سَأَلَ بِاللهِ**» أَيْ: بِحَقِّهِ عَلَيْكُمْ فَأَعْطُوهُ؛ تَعْظِيمًا لِاسْمِ اللهِ، وَشَفَقَةً عَلَىٰ خَلْقِ اللهِ.

وَيَحْرُمُ سُؤَالُ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا بِوَجْهِ اللهِ -تَعَالَىٰ-.

«**وَمَنْ أَتَىٰ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ**»: أَيْ: فَلْيُكَافِئِ الصَّانِعَ مِنَ الْمُكَافَأَةِ؛ أَيْ: أَحْسِنُوا إِلَيْهِ مِثْلَ مَا أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ.

فِي الْحَدِيثِ: وُجُوبُ الْحِمَايَةِ وَالنَّصْرِ وَالْمُسَاعَدَةِ لِكُلِّ مَنْ يَسْتَجِيرُ بِاللهِ، وَيَسْتَعِيذَ بِاسْمِ اللهِ.

وَوُجُوبُ الْمُكَافَأَةِ وَالْمُجَازَاةِ لِلْمُحْسِنِ، وَفِي حَالَةِ عَدَمِ الِاسْتِطَاعَةِ لَدَىٰ الْمُحْسَنِ إِلَيْهِ يَجِبُ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ، وَتَأَمَّلْ فِي الْحُكْمِ «يَجِبُ».

وَتَلْبِيَةُ طَلَبِ مَنْ لَجَأَ إِلَيْكَ لِتَدْفَعَ عَنْهُ شَرًّا أَنْتَ قَادِرٌ عَلَىٰ دَفْعِهِ.

=

(٣٤٠٩)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (١٥٠٢) (١٥٠٣) (١٥٠٤) (١٥٠٥) (٢٣٩٦)، مِنْ طَرِيقِ: مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، بِهِ.

وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السَّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ» (٢٥٤)، وَفِي «الْإِرْوَاءِ» (١٦١٧).

وَإِعْطَاءُ السَّائِلِ حَاجَتَهُ عِنْدَ الْقُدْرَةِ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَطِيبُ النَّفْسِ بِهِ.(*).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ**»(٢). الْحَدِيثُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَأَخْرَجَهُ -أَيْضًا- أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَسَلَكَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ».

قَوْلُهُ: «**لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ**»:

قَالَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا يُتَأَوَّلُ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: مَنْ كَانَ فِي طَبْعِهِ وَعَادَتِهِ كُفْرَانُ نِعْمَةِ النَّاسِ، وَتَرْكُ الشُّكْرِ لِمَعْرُوفِهِمْ، كَانَ مِنْ عَادَتِهِ كُفْرَانُ نِعْمَةِ اللهِ، وَتَرْكُ الشُّكْرِ لَهُ.

الثَّانِي: أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- لَا يَقْبَلُ شُكْرَ الْعَبْدِ عَلَىٰ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ، إِذَا كَانَ الْعَبْدُ لَا يَشْكُرُ إِحْسَانَ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَيَكْفُرُ مَعْرُوفَهُمْ لِاتِّصَالِ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ بِالْآخَرِ».

فِي الْحَدِيثِ: فَضْلُ الشُّكْرِ، وَأَنَّ الْقَلِيلَ يَدُلُّ عَلَىٰ الْكَثِيرِ وَيُؤَدِّي إِلَيْهِ، وَعَدَمُ الِاسْتِهَانَةِ بِالْقَلِيلِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (ص: ٩٧٣-٩٨٠).

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٧٥٠٤) (٧٩٣٩) (٨٠١٩) (٩٠٣٤) (٩٩٤٤) (١٠٣٧٧)، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٨١١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٩٥٤)، وَابْنُ حِبَّانَ (٣٤٠٧)، مِنْ طَرِيقِ: الرَّبِيعِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، بِهِ.

وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ» (٤١٦).

وَوُجُوبُ شُكْرِ صَانِعِ الْمَعْرُوفِ كَمَا مَرَّ، وَوُجُوبُ مُكَافَأَتِهِ وَلَوْ بِالدُّعَاءِ لَهُ، وَأَنَّ الشُّكْرَ مِنْ أَبْوَابِ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ.(*).

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ! ذَهَبَ الْأَنْصَارُ بِالْأَجْرِ كُلِّهِ؟».

قَالَ: «**لَا، مَا دَعَوْتُمُ اللهَ لَهُمْ، وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ بِهِ**»(٢). وَالْحَدِيثُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَأَخْرَجَهُ -أَيْضًا- أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ.

قَالَ ﷺ: «**لَا**» أَيْ: لَا يَذْهَبُونَ بِالْأَجْرِ كُلِّهِ، فَإِنَّ فَضْلَ اللهِ وَاسِعٌ، فَلَكُمْ ثَوَابُ الْعِبَادَةِ، وَلَهُمْ أَجْرُ الْمُسَاعَدَةِ، «**ما دَعَوْتُمُ اللهَ لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ بِهِ**»: مَا دُمْتُمْ تَدْعُونَ لَهُمْ بِخَيْرٍ، فَإِنَّ دُعَاءَكُمْ يَقُومُ بِحَسَنَاتِهِمْ إِلَيْكُمْ، وَثَوَابُ حَسَنَاتِكُمْ رَاجِعٌ إِلَيْكُمْ.

فَالدُّعَاءُ وَالثَّنَاءُ الْحَسَنُ خَيْرُ وَسِيلَةٍ لِإِرْجَاعِ الثَّوَابِ، وَإِعَادَةِ الْحَسَنَاتِ إِلَىٰ الدَّاعِي، وَلِذَلِكَ كَانَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها إِذَا أَهْدَتْ أَوْ تَصَدَّقَتْ قَالَتْ لِمَنْ أَرْسَلَتْ: «مَاذَا قَالُوا لَكِ؟».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (ص: ٩٨٥-٩٨٦).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٨١٢)، مِنْ طَرِيقِ: ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، بِهِ.

وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٣٠٧٥) (١٣١٢٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٤٨٧)، مِنْ طَرِيقِ: حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ، عَنْ أَنَسٍ، بِهِ.

وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (١٥٩).

فَإِذَا قَالَ: قَالُوا: «جَزَاهَا اللهُ خَيْرًا». قَالَتْ: «وَجَزَاهُمْ، وَيَبْقَىٰ أَجْرُ صَدَقَتِنَا أَوْ هَدِيَّتِنَا»(١). لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَا، ما دَعَوْتُمُ اللهَ لَهُمْ، وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ بِهِ**».

فِي هَذَا الْحَدِيثِ: بَيَانُ أَنَّ الْأَنْصَارَ كَانُوا أَهْلَ أَمْوَالٍ، يَتَصَدَّقُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَأَنَّ الْمُهَاجِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ أَمْوَالٌ، فَشَكَا الْمُهَاجِرُونَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَمَا فِي حَدِيثٍ آخَرَ: قَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ -أَيِ الْأَمْوَالِ- بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَىٰ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ.

فَقَالَ: «**وَمَا ذَاكَ؟**».

قَالُوا: «يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ».

فَأَرْشَدَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ؛ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**»(٢).

---

(١) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي «الْكُبْرَىٰ» (١٠٠٦٢) (٩/ ١٢١)، وَفِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» (٣٠٣)، وَابْنُ السُّنِّيِّ فِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» (٢٧٨)، مِنْ طَرِيقِ: عُبَيْدِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ شَاةً، فَقَالَ: «**اقْسِمِيهَا**».

قَالَ: وَكَانَتْ عَائِشَةُ إِذَا رَجَعَتِ الْخَادِمَ قَالَتْ: مَا قَالُوا لَكِ؟ تَقُولُ: مَا يَقُولُونَ؟ يَقُولُ: بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ، فَتَقُولُ عَائِشَةُ: وَفِيهِمْ بَارَكَ اللهُ، تَرُدُّ عَلَيْهِمْ مِثْلَ مَا قَالُوا، وَيَبْقَىٰ أَجْرُنَا لَنَا.

وَجَوَّدَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «تَخْرِيجِ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ» (٢٣٩).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٧٢٠، ١٠٠٦)، وَأَبُو دَاوُدَ (١٢٨٥، ١٢٨٦، ٥٢٤٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٩٥٦)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي ذَرٍّ.

وَفِي رِوَايَةٍ: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: «سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ».

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**»(١)؛ يَعْنِي مِنْ جَمَعَ بَيْنَ الصَّدَقَةِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ أَقْوَالِهَا وَأَفْعَالِهَا وَبَيْنَ إِنْفَاقِ الْمَالِ فَذَلِكَ فَضْلٌ مِنَ اللهِ ﷻ أَكْرَمَهُ بِهِ، فَلَا يُحْسَدُ، وَإِنَّمَا يُغْبَطُ، وَالْغِبْطَةُ هُنَا أَنْ يَتَمَنَّىٰ الْإِنْسَانُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ صَاحِبِ الْمَالِ الْمُنْفِقِ فِي الْخَيْرِ، فَيَعْمَلُ كَمَا عَمِلَ الْآخَرُ فِي مَالِهِ.

وَفِي حَدِيثِ الْبَابِ أَخْبَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مَنْ لَمْ يَجِدْ مَا يُكَافِئُ بِهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَدْعُوَ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَسْدَىٰ إِلَيْهِ مَعْرُوفًا بِمَا فِيهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، بِخَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَيَكُونُ بِذَلِكَ قَدْ كَافَأَهُ، وَشَكَرَ النِّعْمَةَ وَلَمْ يَكْفُرْهَا.(*).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّىٰ اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ**»(٣). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ».(*/٢).

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٨٤٣، ٦٣٢٩)، وَمُسْلِمٌ (٥٩٥)، وَأَبُو دَاوُدَ (١٥٠٤)، وَالنَّسَائِيُّ (٣/ ٧٩)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (ص: ٩٨١-٩٨٤).

(٣) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: ٥/ ٥٣-٥٤، رقم (٢٣٨٧)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مَقْطَعٍ بِعُنْوَان: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْه دَيْنٌ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يُقْضَىٰ عَنْهُ دَيْنُهُ».

وَمَنْ يُسْدِ مَعْرُوفًا إِلَيْكَ فَكُنْ لَهُ شَكُورًا يَكُنْ مَعْرُوفُهُ غَيْرَ ضَائِعِ
وَلَا تَبْخَلَنَّ بِالشُّكْرِ وَالْقَرْضُ فَاجْزِهِ تَكُنْ خَيْرَ مَصْنُوعٍ إِلَيْهِ وَصَانِعِ

❊ ❊ ❊

فَكُنْ شَاكِرًا لِلْمُنْعِمِينَ لِفَضْلِهِمْ وَأَفْضِلْ عَلَيْهِمْ إِذْ قَدَرْتَ وَأَنْعِمِ
وَمَنْ كَانَ ذَا شُكْرٍ فَأَهْلُ زِيَادَةٍ وَأَهْلُ لِبَذْلِ الْعُرْفِ مَنْ كَانَ يُنْعِمِ

❊ ❊ ❊

أَحَقُّ النَّاسِ مِنْكَ بِحُسْنِ عَوْنٍ لَمَنْ سَلَفَتْ لَكُمْ نِعَمٌ عَلَيْهِ
وَأَشْكَرُهُمْ أَحَقُّهُمْ جَمِيعًا بِحُسْنِ صَنِيعَةٍ مِنْكُمْ إِلَيْهِ

❊ ❊ ❊

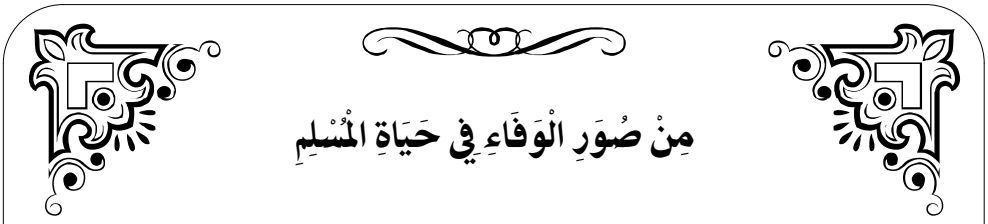

مِنْ صُوَرِ الْوَفَاءِ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ

إِنَّ الْوَفَاءَ وَحِفْظَ الْجَمِيلِ مِنَ الْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا دِينُنَا الْحَنِيفُ، قَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

«وَلَا تَنْسُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- الْفَضْلَ وَالْإِحْسَانَ بَيْنَكُمْ، وَهُوَ إِعْطَاءُ مَا لَيْسَ بِوَاجِبٍ عَلَيْكُمْ، وَالتَّسَامُحُ فِي الْحُقُوقِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، يُرَغِّبُكُمْ فِي الْمَعْرُوفِ، وَيَحُثُّكُمْ عَلَىٰ الْفَضْلِ»(١).

وَإِنَّ لِلْوَفَاءِ مَظَاهِرَ مُتَعَدِّدَةً، وَمَعَالِمَ شَتَّى، وَصُوَرًا كَثِيرَةً فِي دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ وَفِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْوَفَاءِ وَحِفْظِ الْجَمِيلِ لَهُمُ الْوَالِدَانِ؛ فَهُمْ أَصْحَابُ الْفَضْلِ التَّامِّ عَلَى أَبْنَائِهِمْ بَعْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ ﷻ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ، وَالْوَفَاءِ لَهُمَا؛ حَيْثُ يَقُولُ -سُبْحَانَهُ- مُذَكِّرًا الْأَبْنَاءَ بِجَمِيلِ آبَائِهِمْ بَعْدَمَا بَلَغَ الْآبَاءُ مَرْحَلَةَ الْكِبَرِ وَالضَّعْفِ، قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

---

(١) «التفسير الميسر» (ص٣٨).

«وَأَمَرَ رَبُّكَ -أَيُّهَا الْإِنْسَانُ- وَأَلْزَمَ وَأَوْجَبَ أَنْ يُفْرَدَ ﷻ وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ، وَأَمَرَ بِالْإِحْسَانِ إِلَىٰ الْأَبِ وَالْأُمِّ، وَبِخَاصَّةٍ حَالَةُ الشَّيْخُوخَةِ، فَلَا تَضْجَرْ وَلَا تَسْتَثْقِلْ شَيْئًا تَرَاهُ مِنْ أَحَدِهِمَا أَوْ مِنْهُمَا، وَلَا تُسْمِعْهُمَا قَوْلًا سَيِّئًا، حَتَّىٰ وَلَا التَّأْفِيفَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ مَرَاتِبِ الْقَوْلِ السَّيِّءِ، وَلَا يَصْدُرْ مِنْكَ إِلَيْهِمَا فِعْلُ قَبِيحٍ، وَلَكِنِ ارْفُقْ بِهِمَا، وَقُلْ لَهُمَا -دَائِمًا- قَوْلًا لَيِّنًا لَطِيفًا.

وَكُنْ لِأُمِّكَ وَأَبِيكَ ذَلِيلًا مُتَوَاضِعًا؛ رَحْمَةً بِهِمَا، وَاطْلُبْ مِنْ رَبِّكَ أَنْ يَرْحَمَهُمَا بِرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا، كَمَا صَبَرَا عَلَىٰ تَرْبِيَتِكَ طِفْلًا ضَعِيفَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ»(١).

كَمَا يَتَّصِلُ الْوَفَاءُ لِلْوَالِدَيْنِ وَحِفْظُ الْجَمِيلِ لَهُمَا بَعْدَ مَوْتِهِمَا؛ فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ**»(٢).

«**إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ**»؛ أَيْ: أَفْضَلَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ وَالِدِهِ.

والْبِرُّ: الْإِحْسَانُ؛ وَهِيَ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِلْخَيْرِ كُلِّهِ.

وَكَذَلِكَ تَدْخُلُ الْوَالِدَةُ.

«**وُدِّ أَبِيهِ**»: بِضَمِّ الْوَاوِ بِمَعْنَىٰ الْمَوَدَّةِ؛ أَيْ: أَصْحَابِ مَوَدَّتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، فَالْوُدُّ بِمَعْنَىٰ الْمَوَدَّةِ.

---

(١) «التفسير الميسر» (ص٢٨٤).

(٢) «**الأدب المفرد**»: (ص٢١-٢٢، رقم ٤١)، وأخرجه أيضا: مسلم: (٤/ ١٩٧٩، رقم ٢٥٥٢).

فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ: فَضْلُ الصِّلَةِ لِأَصْدِقَاءِ الْأَبِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَتَلْتَحِقُ بِهِ صَدِيقَاتُ الْأُمِّ، وَأَصْحَابُ الْأَجْدَادِ.(*).

النَّبِيُّ ﷺ حَثَّ عَلَىٰ صِلَةِ أَصْدِقَاءِ الْأَبِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَإِكْرَامِهِمْ، وَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِإِكْرَامِ بِرِّ الْأَبِ وَإِحْسَانِهِ؛ لِكَوْنِهِ بِسَبَبِهِ.(*/٢).

النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ أَنْ يَوَدَّ الرَّجُلُ -أَوْ يَصِلَ الرَّجُلُ- أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ**»(٣).

إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ حَتَّىٰ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِهِ، يَصِلُ الرَّحِمَ وَيَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا.

وَالرَّجُلُ كَمَا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ: «تُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: قَدِ ارْتَفَعَتْ دَرَجَتُكَ، فَيَقُولُ بِمَ هَذَا؟».

يَقُولُ لَهُ مَنْ يَقُولُ: «إِنَّهُ بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ فِي الدُّنْيَا»(٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (ص: ٣٢٩-٣٣٣).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (ص: ٣٢٧).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) «**الأدب المفرد**» للبخاري: (ص٢٠-٢١، رقم ٣٦)، وأخرجه أيضا: ابن أبي الدنيا في «**صفة الجنة**» ضمن موسوعته الحديثية: (٣/ ٣٧٦، رقم ١٨٦)، واللالكائي في «**شرح أصول الاعتقاد**»: (٦/ ١٢٢٦، رقم ٢١٧١)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»: (٦/ ٢٥٥، ترجمة ٣٧٢).

والأثر حسن إسناده الألباني في «**صحيح الأدب المفرد**»: (ص٤٥، رقم ٢٧)، وروي مرفوعا، بمثله.

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَجْعَلْهَا حَالَةً طَارِئَةً تَمُرُّ كَمَا تَنْقَشِعُ غُيُومُ الصَّيْفِ وَسُحُبُهَا، لَمْ يَجْعَلْهَا النَّبِيُّ ﷺ قِشْرَةَ طِلَاءٍ مُمَوَّهٍ عَلَىٰ حَقِيقَةٍ رَخِيصَةٍ لَا قِيمَةَ لَهَا.

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرَادَ حَقِيقَةً قَائِمَةً بِذَاتِهَا، إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ جَعَلَ ذَلِكَ خُلُقًا مُسْتَقِرًّا فِي الْقَلْبِ، ثَابِتًا فِي الضَّمِيرِ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا، لَا يَنْمَحِي بِذَهَابِهِمَا مِنْ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ.

بَلْ إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْوَفَاءَ هُوَ الْوَفَاءُ، وَأَنَّ الْجُحُودَ هُوَ الْجُحُودُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَدَحَ الْوَفَاءَ وَأَقَامَهُ قِيمَةً ظَاهِرَةً بَارِزَةً وَعَلَامَةً فَارِقَةً بِدُنْيَا النَّاسِ.(*).

وَمِنْ أَرْقَى صُوَرِ الْوَفَاءِ: الْوَفَاءُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ؛ بِأَدَاءِ الْحُقُوقِ، وَحُسْنِ الْعِشْرَةِ، وَحِفْظِ الْمَعْرُوفِ؛ حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ فِي أَوَّلِ النِّسَاءِ: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]: مِنْ جِنْسِكُمْ، مِنْ بَنِي آدَمَ، وَقِيلَ: خَلَقَ حَوَّاءَ مِنْ ضِلَعِ آدَمَ ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾؛ أَيْ: وُدًّا وَتَرَاحُمًا وَشَفَقَةً، فَجَعَلَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ الْمَوَدَّةَ وَالرَّحْمَةَ، فَهُمَا يَتَوَادَّانِ وَيَتَرَاحَمَانِ، وَمَا مِنْ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «إِيَّاكَ وَعقُوقَ الْوَالِدَيْنِ» - الْجُمُعَةُ ٨-٨-٢٠٠٣م.

شَيْءٍ هُوَ أَحَبُّ إِلَىٰ أَحَدِهِمَا مِنَ الْآخَرِ مِنْ غَيْرِ رَحِمٍ بَيْنَهُمَا، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: فِي عَظَمَةِ اللهِ وَفِي قُدْرَتِهِ.(*).

وَقَالَ ﷺ: «**إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ**»(٢). أَخرَجَهُ النَّسَائِيُّ بِإِسنَادٍ صَحِيحٍ.

وَقَالَ ﷺ: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ؛ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**»(٣). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(٤): «وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مُلَاطَفَةُ النِّسَاءِ وَالْإِحسَانُ إِلَيْهِنَّ، وَالصَّبْرُ عَلَىٰ عِوَجِ أَخْلَاقِهِنَّ، وَاحْتِمَالُ ضَعْفِ عُقُولِهِنَّ، وَكَرَاهِيَةُ طَلَاقِهِنَّ بِلَا سَبَبٍ، وَأَنَّهُ لَا يُطْمَعُ بِاسْتِقَامَتِهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «تَفْسِيرُ مَعَانِي الْقُرْآنِ [سورة الروم: ٢١]» - الْأَرْبَعَاءُ ١٧ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٩هـ| ١٧-٩-٢٠٠٨م.

(٢) أخرجه أبو داود في «**السنن**»: (١/ ٦١، رقم ٢٣٦)، والترمذي في «**الجامع**»: (١/ ١٨٩-١٩٠، رقم ١١٣)، وابن ماجه في «**السنن**»: (١/ ٢٠٠، رقم ٦١٢) مختصرا، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

والحديث صححه الألباني في «**صحيح أبي داود**»: (١/ ٤٢٩-٤٣٤، رقم ٩٥).

(٣) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٩/ ٢٥٢-٢٥٣، رقم ٥١٨٥)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٢/ ١٠٩٠-١٠٩١، رقم ١٤٦٨)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) شرحه علىٰ «**صحيح مسلم**»: (١٠/ ٥٧).

وَقَالَ ﷺ: «**لا يَفْرِكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ**». رَوَاهُ مُسلِمٌ(١).

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «أَيْ: يَنْبَغِي أَلَّا يُبْغِضَهَا؛ لِأَنَّهُ إِنْ وَجَدَ فِيهَا خُلُقًا يَكْرَهُهُ؛ وَجَدَ فِيهَا خُلُقًا يَرْضَاهُ، بِأَنْ تَكُونَ شَرِسَةَ الأَخلَاقِ؛ لَكِنَّهَا دَيِّنَةٌ، أَوْ عَفِيفَةٌ، أَوْ رَفِيقَةٌ بِهِ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ».(*).

وَالْمُتَأَمِّلُ فِي حَيَاةِ نَبِيِّنَا ﷺ يَرَى أَنَّهُ صَاحِبُ الْيَدِ الْعُلْيَا فِي الْوَفَاءِ لِزَوْجَاتِهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ-، وَمِنْ ذَلِكَ: وَفَاؤُهُ لِخَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَدْ كَانَ ﷺ رُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ، فَأَهْدَىٰ عُظْمَهَا إِلَىٰ صُوَيْحِبَاتِ خَدِيجَةَ، يَقُولُ: «**اذْهَبُوا بِهَذِهِ إِلَىٰ فُلَانَةَ؛ فَإِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا عَلَىٰ عَهْدِ خَدِيجَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا»(٤).

فَكَانَ النَّبِيُّ يُوَاسِي صَدِيقَاتِ خَدِيجَةَ، وَصِلَتُهُ لَهُنَّ مَعْرُوفَةٌ ذَائِعَةٌ شَائِعَةٌ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ(٥).

---

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (٢/ ١٠٩١، رقم ١٤٦٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) شرحه علىٰ «**صحيح مسلم**»: (١٠/ ٥٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «أَهْلُ الْقِبْلَةِ» - الْجُمُعَةُ ١٣ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٧ هـ| ٢٠-٥-٢٠١٦م.

(٤) أخرجه البخاري: (٧/ ١٣٣، رقم ٣٨١٨)، ومسلم: (٤/ ١٨٨٨-١٨٨٩، رقم ٢٤٣٥) واللفظ له، من حديث: عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ: «**أَرْسِلُوا بِهَا إِلَىٰ أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ**»،... الحديث.

وفي رواية البخاري: «...، وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ فَيُهْدِي فِي خَلَائِلِهَا مِنْهَا مَا يَسَعُهُنَّ».

(٥) كَمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٢١)، وَمُسْلِمٌ (٢٤٣٧)، مِنْ طَرِيقِ: عَلِيِّ بْنِ مُسْهِرٍ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ:

=

وَهَذَا مِنْ وَفَائِهِ ﷺ، وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَىٰ كَرَمِ الْعُنْصُرِ وَطِيبِ الْمَعْدِنِ؛ إِذْ فِيهَا مِنَ الدَّلَالَةِ مَا فِيهَا عَلَىٰ اسْتِحْكَامِ خَصْلَةِ الْوَفَاءِ فِي الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ وَالضَّمِيرِ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمَّا دَخَلَتْ أُخْتُ خَدِيجَةَ -وَكَانَ صَوْتُهَا أَشْبَهَ مَا يَكُونُ بِصَوْتِ خَدِيجَةَ- رَقَّ لِلصَّوْتِ جِدًّا لَمَّا سَمِعَهُ، حَتَّىٰ غَارَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَهِيَ أَحَبُّ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ قَالَتْ مَرَّةً لِلنَّبِيِّ ﷺ: «**مَا أَكْثَرَ مَا أَرَاكَ تَذْكُرُ هَذِهِ** -تَعْنِي خَدِيجَةَ- **إِنْ كَانَتْ إِلَّا عَجُوزًا حَمْرَاءَ الشِّدْقَيْنِ هَلَكَتْ مَعَ الدَّهْرِ أَبْدَلَكَ اللهُ خَيْرًا مِنْهَا**»(١). (*).

كَانَ ﷺ إِذَا مَا ذُبِحَتِ الشَّاةُ يَقُولُ: «**اذْهَبُوا بِهَذِهِ إِلَىٰ فُلَانَةٍ، وَاذْهَبُوا بِهَذِهِ إِلَىٰ فُلَانَةٍ، إِنَّهَا كَانَتْ تَصِلُنَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ**»..

وَخَدِيجَةُ قَدْ غُيِّبَتْ فِي رَمْسِهَا، وَخَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَدْ أَصْبَحَتْ رَهِينَةَ قَبْرِهَا، وَلَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يُجَزِّأُ الْقِيَمَ؛ لِأَنَّ الْقِيَمَ لَا تَتَجَزَّأُ وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَصِيرَ الْعَدْلُ

=

«اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاحَ لِذَلِكَ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ!**»، فَغِرْتُ.

فَقُلْتُ: وَمَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ، حَمْرَاءَ الشِّدْقَيْنِ، هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ، فَأَبْدَلَكَ اللهُ خَيْرًا مِنْهَا!».

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٢١)، وَمُسْلِمٌ (٢٤٣٧)، مِنْ طَرِيقِ: هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بِهِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (ص: ٣٢٩-٣٣٣).

ظُلْمًا وَلَا أَنْ يَصِيرَ الظُّلْمُ عَدْلًا، وَلَا أَنْ يَصِيرَ الْجَمَالُ قُبْحًا وَلَا أَنْ يَصِيرَ الْقُبْحُ جَمَالًا، وَلَا أَنْ يَصِيرَ الْوَفَاءُ غَدْرًا وَلَا أَنْ يَصِيرَ الْغَدْرُ وَفَاءً، بَلِ الْقِيَمُ هِيَ الْقِيَمُ لَا تَتَجَزَّأُ بِحَالٍ أَبَدًا.(*).

وَمِنْ صُوَرِ الْوَفَاءِ: الْوَفَاءُ لِأَصْحَابِ الْفَضْلِ، وَيَتَجَلَّى فِي ذَلِكَ مَوْقِفُ نَبِيِّنَا ﷺ حِينَ طَيَّبَ خَاطِرَ الْأَنْصَارِ الَّذِينَ نَصَرُوهُ ﷺ بَعْدَ قِسْمَةِ الْغَنَائِمِ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَائِلًا لَهُمْ: «أَوَجَدْتُمْ فِي نُفُوسِكُمْ -يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ- فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا أَسْلَمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَىٰ مَا قَسَمَ اللهُ لَكُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ!! أَفَلَا تَرْضَوْنَ -يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ- أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ إِلَىٰ رِحَالِهِمْ بِالشَّاءِ وَالْبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللهِ إِلَىٰ رِحَالِكُمْ؟!! فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ أَنَّ النَّاسَ سَلَكُوا شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ لَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرأً مِنَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ».

فَبَكَىٰ الْقَوْمُ حَتَّىٰ أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وقالوا: «رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا، وَرَسُولِهِ قَسْمًا»، ثُمَّ انْصَرفَ، وَتَفَرَّقُوا»(٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «إِيَّاكَ وَعقُوقَ الْوَالِدَيْنِ» - الْجُمُعَةُ ٨-٨-٢٠٠٣م.

(٢) أخرجه أحمد (١٨/ ٢٥٣، رقم ١١٧٣٠) عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: فذكره، قال الهيثمي في «مجمع الفوائد» (١٠/ ٣٠): «رجاله رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق وقد صرح بالسماع».

وقوله «لعاعة»: أي بقية يسيرة.

وَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ الْأَنْصَارَ قَدْ قَضَوُا الَّذِي عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ الَّذِي عَلَيْكُمْ، فَأَحْسِنُوا إِلَىٰ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوِزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ**»(١). (*).

وَقَالَ ﷺ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه: «**إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ؛ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي!! مَرَّتَيْنِ**»(٣). (*/٢).

وَقَالَ ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ**»، وَفِي لَفْظٍ: «**وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٥). (*/٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٩٩) من حديث أنس بن مالك.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «خُلُقُ الْوَفَاءِ» - ٧ مِنْ رَبِيع الْآخِر ١٤٢٧هـ| ٥-٥-٢٠٠٦م.

(٣) «صَحِيح الْبُخَارِيّ» (رَقْم ٣٦٦١، و٤٦٤٠).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «فَلَمَّا جَاءَتِ الدُّنْيَا اخْتَلَفْنَا» - الْجُمُعَةُ ٢٣ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٢٧هـ| ١٢-١-٢٠٠٧م.

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ (رَقْم ٤٦٦ و٣٦٥٤ و٣٩٠٤)، ومُسْلِم (رَقْم ٢٣٨٢)، من حَدِيث: أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، والحَدِيث أيضا في «صَحِيح الْبُخَارِيّ» (رَقْم ٤٦٧ و٣٦٥٦ و٦٧٣٨)، من حَدِيث: ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، وفي «صَحِيح مُسْلِم» (رَقْم ٥٣٢)، من حَدِيث: جُنْدَبٍ رضي الله عنه، وفي (رَقْم ٢٣٨٣)، من حَدِيث: ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُهَذَّبِ زَادِ الْمَعَادِ» - (الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةُ)، السَّبْتُ ٢١ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٥هـ| ٢٢-٣-٢٠١٤م.

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ**».

فَبَكَىٰ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، **وَقَالَ**: «هَلْ أَنَا وَمَالِي إِلَّا لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟!»(١). (*).

بَلْ إِنَّ خُلُقَ الْوَفَاءِ مَعَ أَصْحَابِ الْفَضْلِ يَمْتَدُّ لِيَشْمَلَ الْمُخَالِفِينَ؛ بِحِفْظِ الْجَمِيلِ لَهُمْ، وَمُجَازَاتِهِمْ عَلَيْهِ، وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ حِينَ تَذَكَّرَ نَبِيُّنَا ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ الْمُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ، ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ فِي جِوَارِهِ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ رِحْلَةِ الطَّائِفِ؛ فَلَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ ثُمَّ مَاتَتْ خَدِيجَةُ وَبَيْنَهُمَا يَسِيرٌ، اشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ سُفَهَاءِ قَوْمِهِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الطَّائِفِ؛ رَجَاءَ أَنْ يَؤْوُوهُ وَيَنْصُرُوهُ، وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ اللهِ ﷻ، فَلَمْ يَنْصُرُوهُ بَلْ آذَوْهُ، وَكَانَ مَعَهُ مَوْلَاهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَأَقَامَ بَيْنَهُمْ عَشْرَةَ أَيَّامٍ لَا يَدَعُ أَحَدًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ إِلَّا جَاءَهُ وَكَلَّمَهُ فَقَالُوا: اخْرُجْ مِنْ بَلَدِنَا، وَأَغْرَوْا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ، فَجَعَلُوا يَرْمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّىٰ دَمِيَتْ قَدَمَاهُ،

---

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «**الْمُسْنَدِ**»: (٢/ ٢٥٤، رقم ٧٤٤٦)، وَابْنُ مَاجَهْ فِي «**السُّنَنِ**»: الْمُقَدِّمَةُ: فَضْلُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، (٩٤)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «**الصَّحِيحِ**»: بِتَرْتِيبِ ابْنِ بَلْبَانَ (١٥/ ٢٧٣، رقم ٦٨٥٨).

وَالْحَدِيث صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**الصَّحِيحَةِ**»: (٦/ ٤٨٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ سِلْسِلَة: «السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ» (الْمُحَاضَرَةُ الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ: الْهِجْرَةُ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ»، الثُّلَاثَاءُ ٨ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٤٠هـ| ١٨-٩-٢٠١٨م.

فَانْصَرَفَ رَاجِعًا مِنَ الطَّائِفِ إِلَىٰ مَكَّةَ مَحْزُونًا، وَدَخَلَهَا فِي جِوَارِ الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكًا.(*).

وَبَعْدَ سَنَوَاتٍ مِنْ هَذِهِ الْحَادِثَةِ هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ مَاتَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ، فَقَالَ ﷺ فِي أُسَارَىٰ بَدْرٍ: «**لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَىٰ لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ**»(٢). (*/٢).

لَأَطْلَقَهُمْ لَهُ جَمِيعًا دُونَ فِدْيَةٍ؛ ردًّا لِلْجَمِيلِ الَّذِي كَانَ مِنْهُ فِي مَكَّةَ.

وَمِنْ صُوَرِ الْوَفَاءِ وَحِفْظِ الْجَمِيلِ: الْوَفَاءُ لِلْعَالِمِ وَالْمُعَلِّمِ؛ فَمِنْ آدَابِ الْمُتَعَلِّمِ: أَنْ يَنْظُرَ مُعَلِّمَهُ بِعَيْنِ الِاحْتِرَامِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَيَنْبَغِي أَنْ يَنْظُرَ مُعَلِّمَهُ بِعَيْنِ الِاحْتِرَامِ، وَيَعْتَقِدَ كَمَالَ أَهْلِيَّتِهِ وَرُجْحَانَهُ عَلَىٰ أَكْثَرِ طَبَقَتِهِ، فَهُوَ أَقْرَبُ إِلَىٰ انْتِفَاعِهِ بِهِ، وَرُسُوخِ مَا سَمِعَهُ مِنْهُ فِي ذِهْنِهِ.

وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ إِذَا ذَهَبَ إِلَىٰ مُعَلِّمِهِ تَصَدَّقَ بِشَيْءٍ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَيْبَ مُعَلِّمِي عَنِّي، وَلَا تُذْهِبْ بَرَكَةَ عِلْمِهِ مِنِّي».(*/٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُهَذَّبِ زَادِ الْمَعَادِ» - (الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةُ)، السَّبْتُ ٢١ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٥هـ| ٢٢-٣-٢٠١٤م.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٣٩) من حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُهَذَّبِ زَادِ الْمَعَادِ» - (الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ)، الْأَرْبِعَاءُ ٢٥ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٥هـ| ٢٦-٣-٢٠١٤م.

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «آدَابُ الْمُعَلِّمِ وَالْمُتَعَلِّمِ» - الْخَمِيسُ ١٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ١٧-٧-٢٠١٤م.

وَلَا يُنَالُ الْعِلْمُ إِلَّا بِإِلْقَاءِ السَّمْعِ مَعَ التَّوَاضُعِ؛ فَعَنِ الشَّعْبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: «صَلَّىٰ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ عَلَىٰ جِنَازَةٍ، ثُمَّ قُرِّبَتْ لَهُ بَغْلَةٌ لِيَرْكَبَهَا، فَجَاءَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَخَذَ بِرِكَابِهِ، فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ: خَلِّ عَنْهُ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ! فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَكَذَا يُفْعَلُ بِالْعُلَمَاءِ وَالْكُبَرَاءِ»(١).

وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يُعَظِّمُونَ مَنْ يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمْ تَعْظِيمًا شَدِيدًا، وَآثَارُهُمْ فِي ذَلِكَ شَاهِدَةٌ عَلَىٰ آدَابِهِمْ فِي مَجَالِسِ التَّعْلِيمِ، وَعَلَىٰ تَوْقِيرِهِمْ لِمُعَلِّمِيهِمْ، وَقَدْ أَخْرَجَ الْخَطِيبُ فِي «الْجَامِعِ» كَثِيرًا مِنْ تِلْكَ الْآثَارِ.

فَسَاقَ بِسَنَدِهِ(٢) عَنْ مُغِيرَةَ قَالَ: «كُنَّا نَهَابُ إِبْرَاهِيمَ -النَّخَعِيَّ- كَمَا يُهَابُ الْأَمِيرُ».

---

(١) «**جامع بيان العلم**»: (١/ ٥١٤، رقم ٨٣٢)، وأخرجه ابن سعد في «**الطبقات**»: (٢/ ٣٦٠)، والفسوي في «**المعرفة والتاريخ**»: (٣/ ١٧٦)، والبغوي في «**معجم الصحابة**»: (٢/ ٤٧١، رقم ٨٥٣)، والدينوري في «**المجالسة**»: (٤/ ١٤٦-١٤٧، رقم ١٣١٤)، والطبراني في «**المعجم الكبير**»: (٥/ ١٠٧-١٠٨، رقم ٤٧٤٦)، والخطيب في «**الجامع لأخلاق الراوي**»: (١/ ١٨٨، رقم ٣٠٨)، بإسناد صحيح، عَنِ الشَّعْبِيِّ، ورواه -أيضًا- أبو سلمة ومجاهد وعمرو بن دينار عن ابن عباس بنحوه.
وزاد الدينوري في روايته: «...، فَقَالَ زَيْدٌ -أي: لابن عباس-: أَرِنِي يَدَكَ، فَأَخْرَجَ يَدَهُ، فَقَبَّلَهَا زَيْدٌ، وَقَالَ: هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا ﷺ».

(٢) «**الجامع لأخلاق الراوي**»: (١/ ١٨٣، رقم ٢٩٣)، من طريق: الفسوي في «**المعرفة والتاريخ**»: (٢/ ٦٠٤)، وأخرجه -أيضًا- ابن سعد في «**الطبقات**»: (٦/ ٢٧١)، وأحمد في «**العلل**» رواية ابنه عبد الله: (٣/ ١٢٣-١٢٤، رقم ٤٥٢١ و٤٥٢٥)، والدارمي في «**المسند**»: (١/ ٣٩٣، رقم ٤٢٢)، بإسناد صحيح.

وَعَنْ أَيُّوبَ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ يَجلِسُ إِلَىٰ الْحَسَنِ ثَلَاثَ سِنِينَ، فَلَا يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ هَيْبَةً لَهُ»(١).

وَعَنْ إِسْحَاقَ الشَّهِيدِيِّ قَالَ: «كُنْتُ أَرَىٰ يَحْيَىٰ الْقَطَّانَ يُصَلِّي الْعَصْرَ، ثُمَّ يَسْتَنِدُ إِلَىٰ أَصْلِ مَنَارَةِ الْمَسْجِدِ، فَيَقِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، وَالشَّاذَكُونِيُّ، وَعَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَيَحْيَىٰ بْنُ مَعِينٍ، وَغَيْرُهُم، يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْحَدِيثِ وَهُمْ قِيَامٌ عَلَىٰ أَرْجُلِهِمْ، إِلَىٰ أَنْ تَحِينَ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ، لَا يَقُولُ لِوَاحِدٍ مِنْهُمُ: اجْلِسْ، وَلَا يَجْلِسُونَ هَيْبَةً لَهُ وَإِعْظَامًا»(٢).

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَرْمَلَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: «مَا كَانَ إِنْسَانٌ يَجْتَرِئُ عَلَىٰ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ، حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنَهُ كَمَا يُسْتَأْذَنُ الْأَمِيرُ»(٣).

فَعَلَىٰ طَالِبِ الْعِلْمِ «أَنْ يَنْقَادَ لِشَيْخِهِ فِي أُمُورِهِ، وَلَا يَخْرُجَ عَنْ رَأْيِهِ وَتَدْبِيرِهِ، بَلْ يَكُونُ مَعَهُ كَالْمَرِيضِ مَعَ الطَّبِيبِ الْمَاهِرِ(٤)، فَيُشَاوِرُهُ فِيمَا يَقْصِدُهُ، وَيَتَحَرَّىٰ

---

(١) «**الجامع**»: (١/ ١٨٤، رقم ٢٩٤)، وأخرجه -أيضًا- أبو نعيم في «**الحلية**»: (٣/ ١١) و(٩/ ٥٤)، بإسناد صحيح.

(٢) «**الجامع**»: (١/ ١٨٥، رقم ٢٩٩)، ومن طريقه: ابن الجوزي في «**مناقب الإمام أحمد**»: (ص٧١)، بإسناد صحيح.

(٣) «**الجامع**»: (١/ ١٨٥، رقم ٢٩٥)، من طريق: أبي نعيم في «**الحلية**»: (٢/ ١٧٣)، بإسناد صحيح.

(٤) وهذا من غير تقليد؛ فإن التقليد محرم قطعًا، قال تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، وانظر: «**القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد**» للشوكاني: (ص٧١-٧٨).

رِضَاهُ فِيمَا يَتَعَمَّدُهُ، وَيُبَالِغُ فِي حُرْمَتِهِ، وَيَتَقَرَّبُ إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- بِخِدْمَتِهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ ذُلَّهُ لِشَيْخِهِ عِزٌّ، وَخُضُوعَهُ لَهُ فَخْرٌ، وَتَوَاضُعَهُ لَهُ رِفْعَةٌ.

وَيُقَالُ: إِنَّ الشَّافِعِيَّ رَحِمَهُ اللهُ عُوتِبَ عَلَىٰ تَوَاضُعِهِ لِلْعُلَمَاءِ، فَقَالَ:

أُهِينُ لَهُمْ نَفْسِي فَهُمْ يُكْرِمُونَهَا وَلَنْ تُكْرَمَ النَّفْسُ الَّتِي لَا تُهِينُهَا(١)

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللهُ لِخَلَفٍ الْأَحْمَرِ: «لَا أَقْعُدُ إِلَّا بَيْنَ يَدَيْكَ، أُمِرْنَا أَنْ نَتَوَاضَعَ لِمَنْ نَتَعَلَّمُ مِنْهُ»(٢).

---

(١) أخرجه الربيع بن سليمان في زوائده علىٰ «**مسند الشافعي**»: (ص٣٧٥)، ومن طريقه: ابن أبي حاتم في «**آداب الشافعي ومناقبه**»: (ص٩٤-٩٥)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»: (٩/ ١٤٨)، والبيهقي في «**مناقب الشافعي**»: (٢/ ١٠٠-١٠١ و١٤٧)، وابن عبد البر في «**الانتقاء**»: (ص٩١)، والخطيب في «**الجامع لأخلاق الراوي**»: (١/ ٣٤٩، رقم ٨٠٣)، قَالَ الرَّبِيعُ: كَتَبَ إِلَيَّ أَبُو يَعْقُوبَ الْبُوَيْطِيُّ: يَسْأَلُنِي أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي لِلْغُرَبَاءِ وَأَنْ أُحَسِّنَ خُلُقِي لِأَصْحَابِنَا الَّذِينَ فِي الْحَلْقَةِ وَالِاحْتِمَالَ مِنْهُمْ، وَيَقُولُ: «لَمْ أَزَلْ أَسْمَعُ الشَّافِعِيَّ كَثِيرًا يرَدِّدُ هَذَا الْبَيْتَ:...» فذكره.

وترديد الشافعي لهذا البيت لا يلزم أن يكون صاحبه، ولم أجده في ديوانه، والبيت نسب -أيضًا- لأعرابي حُجِبَ عن باب السلطان، كما في «**البيان والتبيين**»: (٢/ ١٣١)، و«**عيون الأخبار**»: (١/ ١٦٥)، و«**الصناعتين**»: (ص٣١٠).

(٢) أخرجه الخطيب في «**الجامع لأخلاق الراوي**»: (١/ ١٩٨، رقم ٣٤٤)، وفي «**تاريخ بغداد**»: (١٠/ ١٩٥، ترجمة ٤٧٠٣)، وابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: (٥٢/ ٣٢٤، ترجمة ٦٢٣٣)، وابن الجوزي في «**مناقب الإمام أحمد**»: (ص٧١)، بإسناد لا بأس به.

وَعَلَىٰ طَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَنْظُرَ شَيْخَهُ بِعَيْنِ الْإِجْلَالِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَقْرَبُ إِلَىٰ نَفْعِهِ بِهِ، وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ إِذَا ذَهَبَ إِلَىٰ شَيْخِهِ تَصَدَّقَ بِشَيْءٍ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَيْبَ شَيْخِي عَنِّي، وَلَا تُذْهِبْ بَرَكَةَ عِلْمِهِ مِنِّي».

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُنْتُ أُصْفِحُ الْوَرَقَةَ بَيْنَ يَدَيْ مَالِكٍ صَفْحًا رَقِيقًا هَيْبَةً لَهُ؛ لِئَلَّا يَسْمَعَ وَقْعَهَا»(١).

وَقَالَ حَمْدَانُ الْأَصْفَهَانِيُّ: «كُنْتُ عِنْدَ شَرِيكٍ، فَأَتَاهُ بَعْضُ أَوْلَادِ الْخَلِيفَةِ الْمَهْدِيِّ، فَاسْتَنَدَ إِلَىٰ الْحَائِطِ وَسَأَلَهُ عَنْ حَدِيثٍ؛ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْنَا، ثُمَّ عَادَ، فَعَادَ لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَتَسْتَخِفُّ بِأَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ؟!!

فَقَالَ شَرِيكٌ: لَا، وَلَكِنَّ الْعِلْمَ أَجَلُّ عِنْدَ اللهِ مِنْ أَنْ أَضَعَهُ! فَجَثَا عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ شَرِيكٌ: هَكَذَا يُطْلَبُ الْعِلْمُ»(٢).

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ صَاحِبُ الشَّافِعِيِّ -رَحِمَهُمَا اللهُ-: «وَاللهِ مَا اجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ الْمَاءَ وَالشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ إِلَيَّ هَيْبَةً لَهُ»(٣).

---

(١) أخرجه البيهقي في «**مناقب الشافعي**»: (٢/ ١٤٤)، ومن طريقه: ابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: (١٤/ ٢٩٣، ترجمة ١٥٩٠)، بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه أبو القاسم البغوي في «**حديث علي بن الجعد**»: (ص٣٥٣، رقم ٢٤٤٥)، ووكيع الضبي في «**أخبار القضاة**»: (٣/ ١٦١)، والخطيب في «**الجامع لأخلاق الراوي**»: (١/ ١٩٨، رقم٣٤٣)، وأبو هلال العسكري في «**الحث علىٰ طلب العلم**»: (ص٨٤-٨٥)، والسمعاني في «**أدب الإملاء والاستملاء**»: (ص١٣٣)، بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه البيهقي في «**المدخل**»: (ص٣٩٠، رقم ٦٨٤)، وفي «**مناقب الشافعي**»: (٢/ ١٤٥)، وابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: (٥١/ ٤٠٤، ترجمة ٦٠٧١)، بإسناد صحيح.

وَيَنْبَغِي أَلَّا يُخَاطِبَ شَيْخَهُ بِتَاءِ الْخِطَابِ وَكَافِهِ، وَلَا يُنَادِيهِ مِنْ بُعْدٍ.

قَالَ الْخَطِيبُ(١): «يَقُولُ: أَيُّهَا الْعَالِمُ، وَأَيُّهَا الْحَافِظُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ»، وَمَا تَقُولُونَ فِي كَذَا؟ وَمَا رَأْيُكُمْ فِي كَذَا؟ وَشِبْهَ ذَلِكَ، وَلَا يُسَمِّيهِ فِي غَيْبَتِهِ أَيْضًا بِاسْمِهِ إِلَّا مَقْرُونًا بِمَا يُشْعِرُ بِتَعْظِيمِهِ، كَقَوْلِهِ: قَالَ الشَّيْخُ، أَوِ الْأُسْتَاذُ، أَوْ: قَالَ شَيْخُنَا كَذَا.

وَعَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ لِلشَّيْخِ حَقَّهُ، وَلَا يَنْسَىٰ فَضْلَهُ، وَأَنْ يُعَظِّمَ حُرْمَتَهُ، وَيَرُدَّ غِيبَتَهُ وَيَغْضَبَ لَهَا، فَإِنْ عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ قَامَ وَفَارَقَ ذَلِكَ الْمَجْلِسَ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَدْعُوَ لِلشَّيْخِ مُدَّةَ حَيَاتِهِ، وَيَرْعَىٰ ذُرِّيَّتَهُ وَأَقَارِبَهُ وَأَوِدَّاءَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَيَتَعَمَّدَ زِيَارَةَ قَبْرِهِ وَالِاسْتِغْفَارَ لَهُ، وَالصَّدَقَةَ عَنْهُ، وَيَسْلُكَ فِي السَّمْتِ وَالْهَدْيِ مَسْلَكَهُ، وَيُرَاعِيَ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ عَادَتَهُ، وَيَقْتَدِيَ بِحَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ فِي عَادَاتِهِ وَعِبَادَاتِهِ، وَيَتَأَدَّبَ بِآدَابِهِ، وَلَا يَدَعَ الِاقْتِدَاءَ بِهِ».

«**وَعَلَىٰ طَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَىٰ جَفَاءِ شَيْخِهِ، وَأَنْ يَتَرَفَّقَ بِهِ؛ فَقَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ**: «قِيلَ لِسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ: إِنَّ قَوْمًا يَأْتُونَكَ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ تَغْضَبُ عَلَيْهِمْ، يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبُوا وَيَتْرُكُوكَ! فَقَالَ لِلْقَائِلِ: «هُمْ إِذَنْ حَمْقَىٰ مِثْلُكَ إِنْ تَرَكُوا مَا يَنْفَعُهُمْ لِسُوءِ خُلُقِي»(٢)»(٣).

---

(١) «**الجامع لأخلاق الراوي**»: (١/ ١٨٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «**آداب الشافعي ومناقبه**»: (ص١٥٨)، والبيهقي في «**مناقب الشافعي**»: (٢/ ١٤٥ و١٤٦)، والخطيب في «**الجامع لأخلاق الراوي**»: (١/ ٢٢٣، رقم ٤٢٣)، بإسناد صحيح.

(٣) «**تذكرة السامع والمتكلم**» لابن جماعة: (ص١١٧-١٢٣)، بتصرف واختصار يسير.

وَعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: «لَمْ أَسْتَخْرِجِ الَّذِي اسْتَخْرَجْتُ مِنْ عَطَاءٍ إِلَّا بِرِفْقِي بِهِ»(١).

وَعَنِ ابْنِ طَاوُوسٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يُوَقَّرَ الْعَالِمُ»(٢).

«وَإِذَا وَقَفَهُ الشَّيْخُ عَلَىٰ دَقِيقَةٍ مِنْ أَدَبٍ، أَوْ نَقِيصَةٍ صَدَرَتْ مِنْهُ، وَكَانَ يَعْرِفُهَا مِنْ قَبْلُ؛ فَلَا يُظْهِرْ أَنَّهُ كَانَ عَارِفًا بِهَا وَغَفَلَ عَنْهَا، بَلْ يَشْكُرُ الشَّيْخَ عَلَىٰ إِفَادَتِهِ ذَلِكَ وَاعْتِنَائِهِ بِأَمْرِهِ، فَإِنْ كَانَ لَهُ فِي ذَلِكَ عُذْرٌ وَكَانَ إِعْلَامُ الشَّيْخِ بِهِ أَصْلَحَ فَلَا بَأْسَ بِهِ، وَإِلَّا تَرَكَهُ، إِلَّا أَنْ يَتَرَتَّبَ عَلَىٰ تَرْكِ بَيَانِ الْعُذْرِ مَفْسَدَةٌ فَيَتَعَيَّنُ إِعْلَامُهُ بِهِ»(٣).

وَلْيَحْذَرْ طَالِبُ الْعِلْمِ أَشَدَّ الْحَذَرِ أَنْ يُمَارِيَ أُسْتَاذَهُ؛ فَإِنَّ الْمِرَاءَ شَرٌّ كُلُّهُ، وَهُوَ مَعَ شَيْخِهِ وَقُدْوَتِهِ أَقْبَحُ وَأَبْعَدُ مِنَ الْخَيْرِ، وَأَوْغَلُ فِي الشَّرِّ، وَهُوَ سَبَبٌ لِلْحِرْمَانِ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْخَيْرِ.

فَعَنْ مَيْمُونَ بْنِ مِهْرَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: «لَا تُمَارِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، فَإِذَا فَعَلْتَ خَزَنَ عَنْكَ عِلْمَهُ، وَلَمْ تَضُرَّهُ شَيْئًا»(٤).

---

(١) «**جامع بيان العلم وأهله**»: (١/ ٤٢٣، رقم ٦٢٥) و(١/ ٥١٨، رقم ٨٣٩)، بإسناد صحيح.

(٢) «**جامع بيان العلم**»: (١/ ٥١٩، رقم ٨٤٠) من طريق عبد الرزاق في «**المصنف**» جامع معمر: (١١/ ١٣٧، رقم ٢٠١٣٣)، وأخرجه -أيضًا- البيهقي في «**المدخل**»: (ص٣٨٢، رقم ٦٦٤) وفي «**شعب الإيمان**»: (١٠/ ٢٩١، رقم ٧٥٠٩)، والخطيب في «**الفقيه والمتفقه**»: (٢/ ٣٨٠، رقم ١١٣٩)، بإسناد صحيح.

(٣) «**تذكرة السامع**»: (ص١٢٣).

(٤) «**جامع بيان العلم وأهله**»: (١/ ٥١٧-٥١٨، رقم ٨٣٥ و٨٣٦ و٨٣٨)، وأخرجه -أيضًا- أبو عبيد القاسم في «**فضائل القرآن**»: (ص٧٩)، والدارمي في «**المسند**»: =

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: «كَانَ أَبُو سَلَمَةَ يُمَارِي ابْنَ عَبَّاسٍ، فَحُرِمَ بِذَلِكَ خَيْرًا كَثِيرًا»(١). (*).

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ صُوَرِ الْوَفَاءِ وَحِفْظِ الْجَمِيلِ: الْوَفَاءَ لِلْوَطَنِ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ مِنْ شِيَمِ أَهْلِ الْمُرُوءَةِ وَالنُّبْلِ، يَقُولُ الْأَصْمَعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ وَفَاءَ الرَّجُلِ وَوَفَاءَ عَهْدِهِ فَانْظُرْ إِلَى حَنِينِهِ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَتَشَوُّقِهِ إِلَى إِخْوَانِهِ»، وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ الْخُلُقُ النَّبِيلُ

=

(١/ ٣٤١، رقم ٣١٠)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»: (٤/ ٨٢)، والخطيب في «**الفقيه والمتفقه**»: (٢/ ٣١٩، رقم ١٠٣٠)، وابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: (٦١/ ٣٦٤، ترجمة ميمون)، بإسناد صحيح.

وفي رواية: «إِيَّاكَ وَالْخُصُومَةَ وَالْجِدَالَ فِي الدِّينِ، وَلَا تُجَادِلَنَّ عَالِمًا وَلَا جَاهِلًا: أَمَّا الْعَالِمُ فَإِنَّهُ يَحْزُنُ عَنْكَ عِلْمَهُ وَلَا يُبَالِي مَا صَنَعْتَ، وَأَمَّا الْجَاهِلُ فَإِنَّهُ يُخَشِّنُ بِصَدْرِكَ وَلَا يُطِيعُكَ».

قوله: «يخشن»، يقال: خشنت صدره تخشينًا، أي: أوغرته.

(١) «**جامع بيان العلم**»: (١/ ٥١٧-٥١٨، رقم ٨٣٧)، وأخرجه -أيضًا- ابن سعد في «**الطبقات**»: (٥/ ٢٥٠)، وأحمد في «**العلل**» رواية ابنه عبد الله: (١/ ١٨٦، رقم ١٥٦)، والدارمي في «**المسند**»: (١/ ٣٩٤ و٤٦٦-٤٦٧، رقم ٤٢٦ و٥٨٧)، والفسوي في «**المعرفة**»: (١/ ٥٥٢ و٥٥٩)، والآجري في «**أخلاق أهل القرآن**»: (ص١٣٨، رقم ٦٤)، والخطيب في «**الجامع لأخلاق الراوي**»: (١/ ٢٠٩، رقم ٣٨١ و٣٨٢)، بإسناد صحيح.

وفي رواية: «كَانَ أَبُو سَلَمَةَ يَسْأَلُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَكَانَ يَحْزُنُ عَنْهُ، وَكَانَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ يُلْطِفُهُ فَكَانَ يُعِزُّهُ عِزًّا»، وفي أخرىٰ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: «لَوْ رَفَقْتَ بِابْنِ عَبَّاسٍ لَاسْتَخْرَجْتَ مِنْهُ عِلْمًا كَثِيرًا».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَاب: «فَضْلُ الْعِلْمِ» (ص: ٢٩٩-٣٠٣).

حِينَمَا وَقَفَ نَبِيُّنَا ﷺ لَيْلَةَ الْهِجْرَةِ، وَنَظَرَ إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ إِيذَاءِ أَهْلِهَا لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ لَهُ، وَقَالَ ﷺ: «**وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَىٰ اللهِ ﷻ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ**». وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَعِنْدَ ابْنِ مَاجَهْ: «**وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَيَّ**». صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ(١).

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ**»(٢). (*).

وَمِمَّا يَتَوَجَّبُ: أَنْ يُدَافِعَ الْمُسْلِمُ عَنْ دَارِ الْإِسْلَامِ الْعَدُوَّ الَّذِي يُحَاوِلُ اغْتِصَابَهَا وَاحْتِلَالَهَا، وَأَنْ يُجَاهِدَ دُونَهَا بِالْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ؛ احْتِفَاظًا بِمَا لِأَهْلِهَا فِي وَطَنِهِمْ؛ مِنْ إِقَامَةِ شَعَائِرِ دِينِهِمْ، وَعِبَادَةِ رَبِّهِمْ، وَتَقَلُّبِهِمْ فِي أَمْلَاكِهِمْ، وَصَوْنِ حَرِيمِهِمْ، وَتَصَرُّفِهِمْ فِي مَعَائِشِهِمْ، وَالْقِيَامِ عَلَىٰ تَرْبِيَةِ أَوْلَادِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ عَلَىٰ دِينِ رَبِّهِمْ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ.

وَكُلُّ ذَلِكَ يُحَاوِلُ الْعَدُوُّ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُولَئِكَ، فَيَقْضِيَ عَلَىٰ شَرَفِ دِينِهِمْ، وَيَمْنَعَ عِبَادَاتِهِمْ، وَيَنْهَبَ أَمْوَالَهُمْ وَمُقْتَنَيَاتِهِمْ، وَيَهْتِكَ حُرَمَهُمْ، وَيَمْحُوَ تَارِيخَ مَجْدِهِمْ، وَيُفْنِيَ لُغَتَهُمْ وَعُلُومَهُمْ فِي رَطَانَتِهِ وَعَوَائِدِهِ.

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٣٩٢٥)، وابن ماجه في «سننه» (٣١٠٨)، وصحح إسناده الألباني في «المشكاة» (٢٧٢٥).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٨٨٩)، ومسلم في «صحيحه» (١٣٧٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُلَخَّصٌ مِنْ كِتَاب: «حُبُّ الْوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ مِنَ الْإِيمَانِ» - طَبْعَةُ مَكْتَبَةِ الْفُرْقَانِ الْمِصْرِيَّةِ، الطَّبْعَةُ الْأُولَىٰ ٢٠٠٨م.

فَكُلُّ ذَلِكَ وَأَكْثَرُ مِنْهُ مِمَّا يَنْوِيهِ الْعَدُوُّ الْغَاصِبُ لِلْوَطَنِ تِلْقَاءَ أَهْلِهِ؛ وَلِذَا وَجَبَ الْجِهَادُ دُونَهُ لِوَجْهِ اللهِ وَفِي سَبِيلِهِ جَلَّوَعَلَا.

فَيَجِبُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ، وَأَنْ يَتَحَابُّوا وَلَا يَتَعَادَوْا، وَأَنْ يَتَنَاصَرُوا وَلَا يَتَخَاذَلُوا، وَأَنْ يَأْتَلِفُوا وَلَا يَخْتَلِفُوا؛ حَتَّىٰ يَسْتَطِيعُوا إِقَامَةَ دِينِهِمْ، وَحِفْظَ أَعْرَاضِهِمْ وَدِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ.

وَلَا بُدَّ مِنْ نَفْيِ الْعَصَبِيَّةِ وَالْأَغْرَاضِ الْمَذْمُومَةِ؛ مِنَ الِاسْتِعْلَاءِ بِالْجِنْسِ أَوِ الْأَرْضِ أَوْ غَيْرِهَا، فَإِنَّ الْأَرْضَ لَا تُقَدِّسُ أَحَدًا، وَإِنَّمَا يُقَدِّسُ الْإِنْسَانَ عَمَلُهُ.

أَخْرَجَ مَالِكٌ فِي «الْمُوَطَّأِ» فِي كِتَابِ الْوَصِيَّةِ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ كَتَبَ إِلَىٰ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ: «أَنْ هَلُمَّ إِلَىٰ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ».

فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَلْمَانُ: «إِنَّ الْأَرْضَ لَا تُقَدِّسُ أَحَدًا، إِنَّمَا يُقَدِّسُ الْإِنْسَانَ عَمَلُهُ».

وَمِيزَانُ الْفَضْلِ عِنْدَ اللهِ جَلَّوَعَلَا هُوَ التَّقْوَىٰ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وَمَا أَشَدَّ جُرْمَ مَنْ يَسْعَىٰ لِإِحْدَاثِ الْفَوْضَىٰ، وَإِطْلَاقِ الْغَرَائِزِ مِنْ قُيُودِهَا!!

وَمَا أَكْبَرَ إِثْمَ مَنْ سَعْيُهُ لِإِضَاعَةِ مَكَاسِبِ الْإِسْلَامِ فِي بَلَدٍ يُنَعَّمُ بِنِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِ بِهَذَا الدِّينِ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَرْنًا مِنَ الزَّمَانِ!!(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْمَخَاطِرُ الرَّاهِنَةُ وَالْحُلُولُ الْمُمْكِنَةُ» - الْجُمُعَةَ ٢١ مِنْ جُمَادَىٰ الآخِرَةِ ١٤٣٩هـ| ٩-٣-٢٠١٨م.

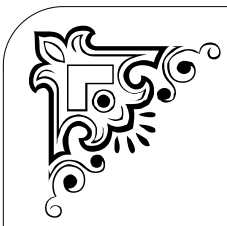

ذَمُّ الْجُحُودِ وَنُكْرَانِ الْجَمِيلِ

إِنَّ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمَرْذُولَةِ وَالْخِصَالِ الْمَذْمُومَةِ: نُكْرَانَ الْجَمِيلِ، وَهُوَ شَيْءٌ أَشْبَهُ مَا يَكُونُ بِجُحُودِ النِّعْمَةِ، وَإِنْكَارِ مَا تَفَضَّلَ بِهِ الْمُتَفَضِّلُ، وَأَنْعَمَ بِهِ الْمُنْعِمُ.

نُكْرَانُ الْجَمِيلِ: أَلَّا يَعْتَرِفَ الْإِنْسَانُ بِلِسَانِهِ بِمَا يُقِرُّ بِهِ قَلْبُهُ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَالصَّنَائِعِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي أُسْدِيَتْ إِلَيْهِ؛ سَوَاءٌ كَانَتْ قَدْ وَصَلَتْ تِلْكَ الصَّنَائِعُ وَوَصَلَ ذَلِكَ الْمَعْرُوفُ إِلَىٰ الْمُنْكِرِ لِلْجَمِيلِ مِنَ اللهِ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-، أَمْ وَصَلَتْ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ مَعْنَىٰ الْجُحُودِ وَمِنْ مَعْنَىٰ الْإِنْكَارِ، وَقَرِيبٌ مِنْ كُفْرَانِ نِعْمَةِ الْمُحْسِنِ، فَكُلُّ ذَلِكَ بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ، أَوْ هُوَ قَرِيبٌ فِي الْمَعْنَىٰ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ، كُفْرَانُ نِعْمَةِ الْمُحْسِنِ، وَالْجُحُودُ، وَالْإِنْكَارُ، وَنُكْرَانُ الْجَمِيلِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «نُكْرَانُ الْجَمِيلِ» - الْأَرْبِعَاءُ ٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٦هـ| ١٢-١٠-٢٠٠٥م.

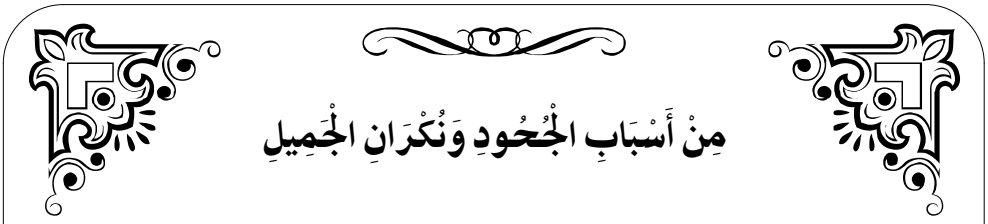

مِنْ أَسْبَابِ الْجُحُودِ وَنُكْرَانِ الْجَمِيلِ

لَمْ يُقَصِّرْ بِالْخَلْقِ عَنْ شُكْرِ النِّعَمِ إِلَّا الْجَهْلُ وَالْغَفْلَةُ؛ فَإِنَّهُمْ مُنِعُوا بِالْجَهْلِ وَالْغَفْلَةِ عَنْ مَعْرِفَةِ النِّعَمِ، وَلَا يُتَصَوَّرُ شُكْرُ النِّعْمَةِ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَةِ كَوْنِهَا نِعْمَةً.

ثُمَّ إِنَّهُمْ إِنْ عَرَفُوا نِعْمَةً ظَنُّوا أَنَّ الشُّكْرَ عَلَيْهَا أَنْ يَقُولَ بِاللِّسَانِ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالشُّكْرُ لِلَّهِ»، وَلَمْ يَعْرِفُوا أَنَّ مَعْنَىٰ الشُّكْرِ: أَنْ يَسْتَعْمِلَ النِّعْمَةَ فِي إِتْمَامِ الْحِكْمَةِ الَّتِي أُرِيدَتْ بِهَا؛ وَهِيَ طَاعَةُ اللهِ ﷻ.

فَلَا يَمْنَعُ مِنَ الشُّكْرِ بَعْدَ حُصُولِ هَاتَيْنِ الْمَعْرِفَتَيْنِ إِلَّا غَلَبَةُ الشَّهْوَةِ وَاسْتِيلَاءُ الشَّيْطَانِ.

*** أَمَّا الْغَفْلَةُ عَنِ النِّعَمِ فَلَهَا أَسْبَابٌ:**

وَأَحَدُ أَسْبَابِهَا: أَنَّ النَّاسَ بِجَهْلِهِمْ لَا يَعُدُّونَ مَا يَعُمُّ الْخَلْقَ وَيَسْلَمُ لَهُمْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ نِعْمَةً؛ فَلِذَلِكَ لَا يَشْكُرُونَ عَلَىٰ مَا عَمَّ اللهُ بِهِ الْخَلْقَ مِنْ شَتَّىٰ النِّعَمِ فِي الْكَوْنِ وَالنَّفْسِ؛ كَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالْحَرَارَةِ وَالْبُرُودَةِ، وَاسْتِسَاغَةِ الطَّعَامِ؛ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُحْصَىٰ كَثْرَةً.

فَلِعُمُومِ هَذِهِ النِّعَمِ سَائِرُ الْخَلْقِ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا إِلَّا مَنْ نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ، وَأَيْقَظَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْ سُبَاتِ الْغَفْلَةِ نَفْسَهُ؛ لِأَنَّهُ يَرْتَعُ فِي نِعَمٍ يَتَمَتَّعُ بِهَا سَائِرُ الْخَلْقِ، فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَىٰ كَوْنِهَا نِعْمَةً.

فَهَذَا مِنَ الْغَفْلَةِ، وَهِيَ نِعَمٌ شَتَّىٰ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَىٰ؛ وَلَكِنَّهَا عَامَّةٌ لِلْخَلْقِ، مَبْذُولَةٌ لَهُمْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ، فَلَا يَرَىٰ كُلُّ وَاحِدٍ لِنَفْسِهِ مِنْهُمُ اخْتِصَاصًا بِهِ؛ فَلَا يَعُدُّهُ نِعْمَةً!!

فَلَا تَرَاهُمْ يَشْكُرُونَ اللهَ جَلَّوَعَلَا عَلَىٰ رَوْحِ الْهَوَاءِ، وَلَوْ أُخِذَ بِمُخْتَنَقِهِمْ لَحْظَةً حَتَّىٰ انْقَطَعَ الْهَوَاءُ عَنْهُمْ؛ مَاتُوا.

فَمَا أَجَلَّهَا مِنْ نِعْمَةٍ! وَمَا أَعْظَمَهَا! وَمَا أَقَلَّ الشُّكْرَ عَلَيْهَا!!

وَلَوْ حُبِسُوا فِي بَيْتِ حَمَّامٍ فِيهِ هَوَاءٌ حَارٌّ، أَوْ فِي بِئْرٍ فِيهِ هَوَاءٌ ثَقُلَ بِرُطُوبَةِ الْمَاءِ؛ مَاتُوا غَمًّا، كَمَا إِذَا لَوْ حُبِسَ عَنْهُمْ مَاتُوا خَنْقًا، فَإِنِ ابْتُلِيَ وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ نَجَا؛ رُبَّمَا قَدَّرَ ذَلِكَ نِعْمَةً، وَشَكَرَ اللهَ عَلَيْهَا.

فَالْمَصْدُورُ هُوَ الَّذِي يُحِسُّ بِنِعْمَةِ الْهَوَاءِ، وَيُدْرِكُ عَظِيمَ قَدْرِ نِعْمَةِ التَّنَفُّسِ عِنْدَ الْأَصِحَّاءِ، وَأَمَّا الصَّحِيحُ فَلَا يَكَادُ يَلْتَفِتُ إِلَىٰ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ إِلَّا إِذَا ابْتُلِيَ بِفَقْدِهِ!!

وَهَذَا غَايَةُ الْجَهْلِ؛ إِذْ صَارَ شُكْرُهُمْ مَوْقُوفًا عَلَىٰ أَنْ تُسْلَبَ عَنْهُمُ النِّعْمَةُ، ثُمَّ تُرَدَّ عَلَيْهِمْ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ.

وَالنِّعْمَةُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ أَوْلَىٰ بِأَنْ تُشْكَرَ فِي بَعْضِهَا، فَلَا تَرَىٰ الْبَصِيرَ يَشْكُرُ صِحَّةَ بَصَرِهِ إِلَّا أَنْ تَعْمَىٰ عَيْنَاهُ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ لَوْ أُعِيدَ عَلَيْهِ بَصَرُهُ أَحَسَّ بِهِ، وَشَكَرَهُ وَعَدَّهُ نِعْمَةً.

وَهَذَا الْجَاهِلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّرْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِ مِثْلُ الْعَبْدِ السُّوءِ؛ حَقُّهُ أَنْ يُضْرَبَ دَائِمًا؛ حَتَّىٰ إِذَا تُرِكَ ضَرْبُهُ سَاعَةً تَقَلَّدَ بِهِ مِنَّةً، فَإِنْ تُرِكَ ضَرْبُهُ عَلَىٰ الدَّوَامِ غَلَبَهُ الْبَطَرُ، وَتَرَكَ الشُّكْرَ.

فَصَارَ النَّاسُ لَا يَشْكُرُونَ إِلَّا الْمَالَ الَّذِي يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ الِاخْتِصَاصُ مِنْ حَيْثُ الْكَثْرَةُ وَالْقِلَّةُ، وَيَنْسَوْنَ جَمِيعَ نِعَمِ اللهِ -تَعَالَىٰ- عَلَيْهِمْ.

وَلَوْ أَمْعَنَ الْإِنْسَانُ النَّظَرَ فِي أَحْوَالِهِ لَرَأَىٰ مِنَ اللهِ نِعَمًا كَثِيرَةً تَخُصُّهُ، لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا النَّاسُ كَافَّةً؛ بَلْ يُشَارِكُهُ عَدَدٌ يَسِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَرُبَّمَا لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ، وَذَلِكَ يَتَمَثَّلُ فِي ثَلَاثَةِ أُمُورٍ يَعْتَرِفُ بِهَا كُلُّ عَبْدٍ.

وَهَذَا مِمَّا اخْتَصَّ بِهِ النَّاسُ، وَكُلٌّ قَدِ اخْتُصَّ مِنْهُ بِقَدْرٍ.

مِنْ ذَلِكَ: الْعَقْلُ؛ فَإِنَّهُ مَا مِنْ عَبْدٍ لِلَّهِ -تَعَالَىٰ- إِلَّا وَهُوَ رَاضٍ عَنِ اللهِ فِي عَقْلِهِ، يَعْتَقِدُ أَنَّهُ أَعْقَلُ النَّاسِ.

وَقَلَّ مَنْ يَسْأَلُ اللهَ -تَعَالَىٰ- الْعَقْلَ؛ وَلِذَا وَجَبَ عَلَىٰ كُلِّ الْخَلْقِ شُكْرُ اللهِ ﷻ.

فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ لَا يَعْتَدُّ بِالنِّعْمَةِ إِلَّا إِذَا كَانَ مُخْتَصًّا بِهَا، وَلَا يَعُدُّ النِّعَمَ الَّتِي هِيَ عَلَىٰ الْعُمُومِ سَائِرَةٌ، وَعَلَىٰ الْخَلْقِ دَائِرَةٌ.. لَا يَعُدُّهَا نِعْمَةً إِلَّا ابْتُلِيَ بِفَقْدِهَا، ثُمَّ أُعِيدَتْ إِلَيْهِ؛ فَحِينَئِذٍ يُدْرِكُ قَدْرَهَا.

فَهُنَاكَ مَا هُوَ مُخْتَصٌّ بِهِ؛ فَإِنَّ النَّاسَ جَمِيعًا بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الْعَقْلِ وَالرِّزْقِ عَلَىٰ حَالَيْنِ مُتَفَاوِتَتَيْنِ:

فَأَمَّا الْحَالُ الْأُولَىٰ: فَهِيَ مَخْصُوصَةٌ بِالْعَقْلِ؛ فَمَا مِنْ إِنْسَانٍ إِلَّا وَهُوَ رَاضٍ عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي عَقْلِهِ، يَعُدُّ نَفْسَهُ أَعْقَلَ الْعَاقِلِينَ، وَهُوَ رَاضٍ عَنْ عَقْلِهِ؛ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَحْمَقِ الْحَمْقَىٰ وَأَسْفَهِ السُّفَهَاءِ.

وَأَمَّا مَا يَخُصُّ الرِّزْقَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ قَلَّ مَنْ يَرْضَىٰ عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي رِزْقِهِ.

قَسَمَ اللهُ الْعَقْلَ، وَقَسَمَ الرِّزْقَ، كُلٌّ رَاضٍ بِعَقْلِهِ، وَمَا إِلَّا النَّادِرُ النَّادِرُ الَّذِي يَرْضَىٰ بِرِزْقِهِ.

إِذَن؛ وَجَبَ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَشْكُرَ اللهَ جَلَّ وَعَلَا فِيمَا هُوَ مَخْصُوصٌ بِهِ مِنْ نِعْمَةِ الْعَقْلِ الَّتِي يَعُدُّهَا كُلُّ مَنْ أُوتِيَ مِنْهُ قَدْرًا.. نِعْمَةً قَدِ اخْتُصَّ بِهَا، وَقَدْ لَا يَرَىٰ أَحَدًا فَوْقَهُ فِيهَا.

وَالْأَمْرُ الثَّانِي: **الْخَلْقُ**؛ فَمَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَيَرَىٰ مِنْ غَيْرِهِ عُيُوبًا يَكْرَهُهَا وَأَخْلَاقًا يَذُمُّهَا، وَإِنَّمَا يَذُمُّهَا مِنْ حَيْثُ يَرَىٰ نَفْسَهُ بَرِيئًا مِنْهَا؛ لِأَنَّهُ لَوْ رَأَىٰ نَفْسَهُ مُتَلَطِّخًا بِهَا مُتَلَوِّثًا بِأَرْكَانِهَا؛ مَا عَابَ غَيْرَهُ عَلَىٰ الْوُقُوعِ فِيهَا وَالْإِتْيَانِ بِهَا.

وَإِنَّمَا يَعُدُّ نَفْسَهُ فَوْقَهَا؛ وَحِينَئِذٍ يَرَىٰ هَذَا الْخُلُقَ -الَّذِي آتَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَيَحْسَبُهُ هُوَ كَامِلًا لَا خُلُقَ فَوْقَهُ- يَرَاهُ مَدْعَاةً لِلشُّكْرِ.

فَعَلَيْهِ أَنْ يَشْكُرَ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ ذَلِكَ، إِذَا لَمْ يُشْغَلْ بِذَمِّ غَيْرِهِ.

وَقَدْ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَشْكُرَ اللهَ؛ إِذْ حَسُنَ خُلُقُهُ، وَابْتُلِيَ غَيْرُهُ بِسُوءِ الْخُلُقِ -كَمَا يَرَىٰ هُوَ نَفْسَهُ وَيَرَىٰ النَّاسَ-.

الْأَمْرُ الثَّالِثُ الَّذِي يُقِرُّ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ: الْعِلْمُ؛ فَمَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَيَعْرِفُ بَوَاطِنَ أُمُورِ نَفْسِهِ وَخَطَايَا أَفْكَارِهِ وَمَا هُوَ مُفْرَدٌ بِهِ، وَلَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ حَتَّىٰ اطَّلَعَ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ لَافْتُضِحَ؛ فَكَيْفَ لَوِ اطَّلَعَ النَّاسُ كَافَّةً؟!!

أَلَا يُوجِبُ سَتْرُ الْقَبِيحِ وَإِخْفَاءُ الْمَذْمُومِ عَنْ عَيْنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ شُكْرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ؟!!

أَلَمْ يُسْبِلْ عَلَيْكَ السَّتْرَ مِنْهُ تَكَرُّمًا؟!!

أَلَمْ يَصْرِفْ عَنْكَ أَنْظَارَ النَّاسِ، وَلَمْ يَرْفَعِ الْغِطَاءَ عَنْكَ حَتَّىٰ يَرَوْا مَا بِكَ حَقِيقَةً؟!!

أَلَيْسَتْ هَذِهِ نِعْمَةً؟!!

وَأَلَا تَسْتَوْجِبُ هَذِهِ النِّعْمَةُ شُكْرًا؟!!

أَلَا يُوجِبُ سَتْرُ الْقَبِيحِ وَإِخْفَاؤُهُ عَنْ عَيْنِ النَّاسِ شُكْرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ؟!!

وَلَمْ يَصْرِفِ الْخَلْقَ عَنْ شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ إِلَّا الْغَفْلَةُ وَالْجَهْلُ.

وَأَعَمُّ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ أُمُورٌ مَا مِنْ وَاحِدٍ مِنَ الْخَلْقِ إِلَّا وَقَدْ رَزَقَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- شَيْئًا مِنْهَا؛ فِي صُورَتِهِ، أَوْ أَخْلَاقِهِ، أَوْ صِفَاتِهِ، أَوْ أَهْلِهِ، أَوْ وَالِدِهِ، أَوْ

مَسْكَنِهِ، أَوْ بَلَدِهِ، أَوْ رَفِيقِهِ، أَوْ زَوْجِهِ، أَوْ وَلَدِهِ، أَوْ عِزِّهِ، أَوْ جَاهِهِ، أَوْ فِي سَائِرِ أُمُورِهِ؛ فَإِنَّهُ لَوْ سُلِبَ ذَلِكَ مِنْهُ، وَأُعْطِيَ مَا خُصِّصَ بِهِ غَيْرُهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَرْضَىٰ، بِهِ.

فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَقَدْ وَجَبَ عَلَىٰ كُلِّ الْخَلْقِ أَنْ يَشْكُرُوهُ.. أَنْ يَشْكُرُوهُ عَلَىٰ أَنْ جَعَلَهُمْ عَلَىٰ هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ عَلَىٰ حَالِ الْآخَرِينَ.

وَلَكِنْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ كُفْرُ النِّعْمَةِ!!

إِنَّهُ الْجُحُودُ، إِنَّهُ كُفْرَانُ النِّعْمَةِ، إِنَّهَا خَصْلَةُ السَّوْءِ إِذَا مَا اسْتَحْكَمَتْ فِي الْإِنْسَانِ جَعَلَتْهُ جَاحِدًا لِكُلِّ مَعْرُوفٍ، سَاتِرًا لِكُلِّ جَمِيلٍ، مُنْكِرًا لِكُلِّ أَمْرٍ حَسَنٍ، وَ«**لَا يَشْكُرُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ**»(١).

وَمَا سَدَّ عَلَىٰ الْخَلْقِ طَرِيقَ الشُّكْرِ إِلَّا جَهْلُهُمْ بِضُرُوبِ النِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَالْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، أَوِ الْغَفْلَةُ عَنْهَا لِحُصُولِهِمْ عَلَيْهَا بِلَا أَدْنَىٰ سَبَبٍ.

هَذَا الْجُحُودُ أَعْظَمُ مَا يَكُونُ إِذَا تَعَلَّقَ بِآيَاتِ اللهِ ﷻ، وَلَقَدْ نَعَىٰ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ جُحُودَهُمْ بِآيَاتِ اللهِ؛ فَقَدْ جَحَدُوهَا رَغْمَ مَعْرِفَتِهِمْ بِهَا، وَشَدَّدَ الْقُرْآنُ النَّكِيرَ عَلَيْهِمْ، فَوَسَمَهُمْ بِالظُّلْمِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨١١) من حديث أبي هريرة، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤١٦).

وَقَدْ كَانَ هَذَا الْجُحُودُ سَبَبًا لِلَعْنَةِ قَوْمِ عَادٍ وَإِبْعَادِهِمْ: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٥٩- ٦٠].

وَقَدْ وَصَفَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَنْ يَجْحَدُ بِآيَاتِ اللهِ بِالْكُفْرِ حِينًا، وَبِالظُّلْمِ حِينًا، فَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٧].

وَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

وَجَاءَ وَصْفُهُمْ -يَعْنِي: الْجَاحِدِينَ- بِأَنَّهُمْ أَهْلُ الْإِفْكِ وَالْخَتْرِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [غافر: ٦٣].

وَقَالَ -سُبْحَانُهُ-: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: ٣٢].

وَقَدْ أَوْضَحَ اللهُ ﷻ أَنَّ الْجُحُودَ مِنْ عَوَامِلِ الِاسْتِكْبَارِ وَالْغُرُورِ، فَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: ١٥].

إِنَّ الْجَاحِدَ بِآيَاتِ اللهِ لَنْ يُغْنِيَ عَنْهُ سَمْعُهُ وَلَا بَصَرُهُ وَلَا فُؤَادُهُ، وَكَأَنَّهُ حَرَمَ نَفْسَهُ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَيْهِ، يَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

وَالنَّتِيجَةُ الْحَتْمُ لِلْجُحُودِ: هِيَ الْخُلُودُ فِي النَّارِ، وَفَوْقَ ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ اللهِ؛ فَاسْتَحَقُّوا بِذَلِكَ الْوَعِيدَ الشَّدِيدَ: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِۖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ [فصلت: ٢٨].

يَتَعَلَّمُ الْإِنْسَانُ الْجُحُودَ فِي النَّاسِ، يَجْحَدُ الْمَعْرُوفَ، وَيُنْكِرُ الْجَمِيلَ، وَيَصُدُّ عَنْ كُلِّ حَسَنٍ، وَيُخْفِي أَمْرَ كُلِّ مُحْسِنٍ إِلَيْهِ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا كَالذُّبَابِ يَقَعُ عَلَىٰ الْعَقِيرِ، لَا يَقَعُ إِلَّا عَلَيْهِ، فَيَتَمَرَّسُ عَلَىٰ الْجُحُودِ مَعَ الْخَلْقِ، وَإِذَا هُوَ جَاحِدٌ مَعَ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ!!(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْجَاحِدُونَ!!» - الْجُمُعَةُ ١٧ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٣هـ| ٢-١١-٢٠١٢م.

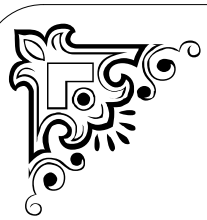

مَعْنَى الْجُحُودِ

«الْجُحُودُ وَالْجَحْدُ مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ: جَحَدَ يَجْحَدُ جَحْدًا وَجُحُودًا، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ مَادَّةِ: (الْجِيمِ وَالْحَاءِ وَالدَّالِ) الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ قِلَّةِ الْخَيْرِ.

يُقَالُ: عَامٌ جَحِدٌ، أَيْ: قَلِيلُ الْمَطَرِ.

وَالْجَحْدُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: الْقِلَّةُ»(١).

قَالَ الشَّيْبَانِيُّ: «أَجْحَدَ الرَّجُلُ وَجَحَدَ: إِذَا أَنْفَضَ وَذَهَبَ مَالُهُ»(٢).

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ الْجُحُودُ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ عِلْمِ الْجَاحِدِ بِهِ أَنَّهُ صَحِيحٌ.

فَفَرْقٌ بَيْنَ الْجُحُودِ وَالنَّفْيِ -كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ جَلَّوَعَلَا-.

قَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤]؛ فَهُوَ يُنْكِرُ بِلِسَانِهِ مَا هُوَ مُثْبَتٌ عَلَىٰ صَفْحَةِ قَلْبِهِ؛ هَذَا هُوَ الْجُحُودُ.

مَا جَاءَ جَاحِدٌ بِخَيْرٍ قَطُّ!!

---

(١) «مقاييس اللغة» لابن فارس (١/ ٢٤٥).

(٢) «تهذيب اللغة» للأزهري (١/ ٤٨٠).

قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: «الْجُحُودُ: الْإِنْكَارُ مَعَ الْعِلْمِ، يُقَالُ: جَحَدَهُ حَقَّهُ وَبِحَقِّهِ»(١).

وَالْجَحْدُ أَيْضًا: قِلَّةُ الْخَيْرِ، وَكَذَلِكَ الْجُحْدُ بِالضَّمِّ، «وَالْجَحَدُ -بِالتَّحْرِيكِ- مِثْلُهُ، يُقَالُ: نَكَدًا لَهُ وَجَحَدًا، وَجَحِدَ الرَّجُلُ -بِالْكَسْرِ- جَحَدًا فَهُوَ جَحِدٌ: إِذَا كَانَ ضَيِّقًا قَلِيلَ الْخَيْرِ، وَأَجْحَدَ مِثْلُهُ(٢).

وَقَالَ الرَّاغِبُ: «يُقَالُ: رَجُلٌ جَحْدٌ شَحِيحٌ قَلِيلُ الْخَيْرِ، يُظْهِرُ الْفَقْرَ. وَأَجْحَدَ: صَارَ ذَا جَحْدٍ»(٣).

«وَالْجُحْدُ وَالْجَحْدُ: الضِّيقُ فِي الْمَعِيشَةِ، يُقَالُ: جَحِدَ عَيْشُهُمْ جَحَدًا؛ إِذَا ضَاقَ عَلَيْهِمْ وَاشْتَدَّ»(٤).

«وَجَحَدَ فُلَانًا: صَادَفَهُ بَخِيلًا قَلِيلَ الْخَيْرِ، وَجَحِدَ: نَكِدَ، وَفَرَسٌ جَحِدٌ كَكَتِفٍ: غَلِيظٌ قَصِيرٌ، وَجَمْعُهُ: جِحَادٌ»(٥).

الْجُحُودُ فِي اللُّغَةِ هُوَ هَذَا.

وَالْمُنَاسَبَةُ ظَاهِرَةٌ بَيْنَ الْمَعْنَىٰ اللُّغَوِيِّ وَالْمَعْنَىٰ الِاصْطِلَاحِيِّ الْعَامِّ؛ فَإِنَّ الْجُحُودَ عِبَارَةٌ عَنِ الْإِخْبَارِ عَنْ تَرْكِ الْفِعْلِ فِي الْمَاضِي.

---

(١) «مختار الصحاح» للرازي (١/ ١١٩).

(٢) «الصحاح» للجوهري (٢/ ٤٥٢).

(٣) «المفردات في غريب القرآن» للراغب (ص٨٨).

(٤) «لسان العرب» لابن منظور (١/ ٥٤٧).

(٥) «تاج العروس» للزبيدي (٧/ ٤٧١).

الْجُحُودُ: نَفْيُ مَا فِي الْقَلْبِ إِثْبَاتُهُ، وَإِثْبَاتُ مَا فِي الْقَلْبِ نَفْيُهُ.

وَهَذَا شَائِعٌ ذَائِعٌ فِي النَّاسِ كَادُوا أَنْ يُطْبِقُوا عَلَيْهِ -إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ- مَعَ الْخَلْقِ قَبْلَ الْخَالِقِ!!

فَمَا أَكْثَرَ الْجَحَدَةَ الَّذِينَ يَجْحَدُونَ الْمَعْرُوفَ، وَالَّذِينَ يُخْفُونَ كُلَّ نِعْمَةٍ وَصَلَتْ إِلَيْهِمْ مِنْ طَرِيقِ غَيْرِهِمْ!!

الْجُحُودُ: نَفْيُ مَا فِي الْقَلْبِ إِثْبَاتُهُ، وَإِثْبَاتُ مَا فِي الْقَلْبِ نَفْيُهُ(١).

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

فَهُوَ كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّوَعَلَا لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ الْعِلْمِ، فَيَنْفِي مَا هُوَ مُثْبَتٌ عَلَىٰ صَفْحَةِ قَلْبِهِ، لَا يُنْكِرُهُ فُؤَادُهُ، وَيُثْبِتُ مَا فِي الْقَلْبِ نَفْيُهُ، وَلَا يَشْكُرُ إِنْسَانًا عَلَىٰ مَعْرُوفٍ، وَلَا يُكَافِئُ أَحَدًا عَلَىٰ نِعْمَةٍ وَصَلَتْ إِلَيْهِ بِسَبِيلِهِ، مَعَ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**مَا شَكَرَ اللهَ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ**»(٢).

فَجَعَلَ هَذَا مِنْ هَذَا، وَجَعَلَ مِنْ شُكْرِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ شُكْرَ النَّاسِ عَلَىٰ النِّعْمَةِ الْوَاصِلَةِ بِسَبِيلِهِ؛ وَإِلَّا فَإِنَّ ذَلِكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ ضَاقَ النَّاسُ بِصُنْعِ الْمَعْرُوفِ، وَأَهْمَلُوهُ، وَلَمْ يُقْبِلُوا عَلَيْهِ؛ لِكَثْرَةِ الْجَحْدِ وُقُوعًا فِي الْحَيَاةِ مَعَ ظُهُورِ الْأَمْرِ كَالشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ.

---

(١) «المفردات في غريب القرآن» للراغب (ص٨٨).

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٥٥) من حديث أبي سعيد الخدري، بلفظ: «**مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ**»، وصححه الألباني في «المشكاة» (٣٠٢٥).

الْجَحْدُ: إِنْكَارُ مَا سَبَقَ لَهُ وُجُودٌ، وَالْجَحْدُ خِلَافُ النَّفْيِ؛ حَتَّىٰ لَا يَشْتَبِهَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ، فَالْجَحْدُ مُخْتَصٌّ بِالْمَاضِي، وَالنَّفْيُ عَامٌّ يَشْمَلُ الْمَاضِيَ وَالْحَاضِرَ.

الْجَحْدُ يُقَالُ فِيمَا يُنْكَرُ بِاللِّسَانِ دُونَ الْقَلْبِ؛ إِنْكَارٌ بِاللِّسَانِ مَعَ إِثْبَاتِ الْقَلْبِ مَا هُوَ بِاللِّسَانِ مُنْكَرٌ.

النَّفْيُ يُقَالُ فِي الْأَمْرَيْنِ؛ فَالنَّافِي إِذَا كَانَ كَلَامُهُ صَادِقًا يُسَمَّىٰ كَلَامُهُ نَفْيًا، وَلَا يُسَمَّىٰ جَحْدًا، كَمَا قَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، هَذَا صِدْقٌ، وَهَذَا نَفْيٌ.

وَإِنْ كَانَ مَا يُخْبِرُ بِهِ كَذِبًا سُمِّيَ جَحْدًا وَنَفْيًا.

فَالنَّفْيُ أَعَمُّ، كَمَا فِي قَوْلِهِ جَلَّوَعَلَا: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤].(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْجَاحِدُونَ!!» - الْجُمُعَةُ ١٧ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٣هـ| ٢-١١-٢٠١٢م.

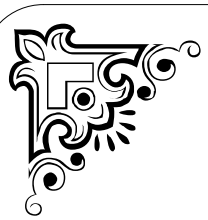

التَّرْهِيبُ مِنَ الْجُحُودِ وَنُكْرَانِ الْجَمِيلِ

لَقَدْ بَيَّنَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ خُطُورَةَ الْجُحُودِ فِي كِتَابِهِ، وَذَكَرَ ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ [الأعراف: ٥٠- ٥١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

فَيُخْبِرُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ عَنْ خِلَافِ مَا هُوَ مُثْبَتٌ عَلَىٰ صَفْحَاتِ قُلُوبِهِمْ، وَهَذَا هُوَ الْجَحْدُ وَهَذَا الْجُحُودُ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ، هُمْ يَعْلَمُونَ فِي قَرَارَةِ ضَمَائِرِهِمْ وَيَعْلَمُونَ فِي أَفْئِدَتِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ أَنَّكَ صَادِقٌ فِيمَا بَلَّغْتَهُ، وَأَنَّكَ قَدْ وَفَّيْتَ بِمَا وَعَدْتَ، وَأَنَّكَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ؛ فَضْلًا عَنْ أَنْ تَكْذِبَ عَلَىٰ اللهِ، هُمْ مِنْهُ عَلَىٰ يَقِينٍ، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾.

قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٥٩ - ٦٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٣ - ١٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: ٢٦ - ٢٨].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: ١٥].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

لَقَدْ بَيَّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ الْجُحُودَ مِيرَاثٌ؛ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» وَاللَّفْظُ لَهُ، وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ أَحْمَد شَاكِر رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَعْلِيقِهِ عَلَىٰ

الْمُسْنَدِ»، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الدَّيْنِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَنْ جَحَدَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَوْ أَوَّلُ مَنْ جَحَدَ آدَمُ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَأَخْرَجَ مِنْهُ مَا هُوَ مِنْ ذَرَارِيَّ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَجَعَلَ يَعْرِضُ ذُرِّيَّتَهُ عَلَيْهِ**».

مَسَحَ ظَهْرَ آدَمَ، فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ ذُرِّيَّتَهُ، فَعَرَضَهُمْ عَلَيْهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، «**فَجَعَلَ يَعْرِضُ ذُرِّيَّتَهُ عَلَيْهِ، فَرَأَىٰ مِنْهُمْ رَجُلًا يَزْهَرُ** -أَيْ: يُضِيءُ وَجْهُهُ حُسْنًا-، **فَقَالَ آدَمُ: أَيْ رَبِّ! مَنْ هَذَا؟**

قَالَ: هَذَا ابْنُكَ دَاوُدُ.

قَالَ: أَيْ رَبِّ! كَمْ عُمُرُهُ؟

قَالَ: سِتُّونَ عَامًا.

قَالَ: رَبِّ زِدْ فِي عُمُرِهِ.

قَالَ: لَا؛ إِلَّا أَنْ أَزِيدَهُ مِنْ عُمُرِكَ.

وَكَانَ عُمُرُ آدَمَ أَلْفَ عَامٍ، فَزَادَهُ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَكَتَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بِذَلِكَ كِتَابًا، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةَ، فَلَمَّا احْتُضِرَ آدَمُ، وَأَتَتْهُ الْمَلَائِكَةُ لِتَقْبِضَهُ قَالَ: إِنَّهُ قَدْ بَقِيَ مِنْ عُمُرِي أَرْبَعُونَ عَامًا.

فَقِيلَ: إِنَّكَ قَدْ وَهَبْتَهَا لِابْنِكَ دَاوُدَ.

قَالَ: مَا فَعَلْتُ.

وَأَبْرَزَ اللهُ ﷻ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، وَشَهِدَتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ»(١).

أَخْرَجَ الْبَزَّارُ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الصَّغِيرِ» وَ«الْأَوْسَطِ» وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّمَ الرَّمْيَ ثُمَّ نَسِيَهُ فَهِيَ نِعْمَةٌ جَحَدَهَا**»(٢).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: «إِنَّ نَاسًا مِنْ عُرَيْنَةَ قَدِمُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فَاجْتَوَوْهَا -أَيْ: لَمْ تُوَافِقْهُمْ، وَكَرِهُوهَا لِمَرَضٍ أَصَابَهُمْ-.

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَىٰ إِبِلِ الصَّدَقَةِ فَتَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا**».

فَفَعَلُوا، فَصَحُّوا، ثُمَّ مَالُوا عَلَىٰ الرُّعَاةِ فَقَتَلُوهُمْ، وَارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ، وَسَاقُوا ذَوْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَبَعَثَ فِي أَثَرِهِمْ، فَأُتِيَ بِهِمْ، فَقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ -أَيْ: فَقَأَهَا، وَأَذْهَبَ مَا فِيهَا-، وَتَرَكَهُمْ فِي الْحَرَّةِ -وَهِيَ أَرْضٌ مَعْرُوفَةٌ بِالْمَدِينَةِ ذَاتُ حِجَارَةٍ سَوْدَاءَ- حَتَّىٰ مَاتُوا»(٣).

لَمْ يَقْتُلْهُمْ، وَإِنَّمَا قَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ، وَتَرَكَهُمْ فِي الْحَرَّةِ؛ جَزَاءً وِفَاقًا لِجُحُودِهِمُ النِّعْمَةَ، وَلِنُكْرَانِهِمُ الْمَعْرُوفَ؛ لِأَنَّهُ زَوَّدَهُمْ بِذَوْدٍ

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٢٧٠)، وصححه الألباني في «ظلال الجنة» (٢٠٤).

(٢) أخرجه الطبراني في «الصغير» (٥٤٣)، والأوسط (٤١٧٧)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٩٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٠٢)، ومسلم (١٦٧١) واللفظ له.

مِنْ عِنْدِهِ مِنْ نِيَاقِ الصَّدَقَةِ يَشْرَبُونَ مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا، فَلَمَّا صَحُّوا اقْتَادُوهَا وَقَتَلُوا الرُّعَاةَ، وَارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ كَافِرِينَ، فَعَاقَبَهُمْ هَذَا الْعِقَابَ الْأَلِيمَ.

وَنَبِيُّنَا هُوَ أَرْحَمُ الْخَلْقِ بِالْخَلْقِ، وَهَذَا مِنْ رَحْمَتِهِ؛ جَزَاءً وَفِاقًا -صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ-، هَذَا الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه **قَالَ**: «خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَضْحَىٰ أَوْ فِطْرٍ إِلَىٰ الْمُصَلَّىٰ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَوَعَظَ النَّاسَ وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! تَصَدَّقُوا**»، فَمَرَّ عَلَىٰ النِّسَاءِ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ! تَصَدَّقْنَ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**».

فَقُلْنَ: «وَبِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟».

قَالَ: «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ**».

«**تَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ**» أَيْ: لَا تَشْكُرْنَ أَزْوَاجَكُنَّ.

«**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ**»، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمَّا صَارَ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ جَاءَتْ زَيْنَبُ امْرَأَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ تَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ، فَقِيلَ: «يَا رَسُولَ اللهِ! هَذِهِ زَيْنَبُ».

فَقَالَ: «**أَيُّ الزَّيَانِبِ؟**».

فَقِيلَ: «امْرَأَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ».

قَالَ: «**نَعَمْ، ائْذَنُوا لَهَا**».

فَأُذِنَ لَهَا، قَالَتْ: «يَا نَبِيَّ اللهِ! إِنَّكَ أَمَرْتَ الْيَوْمَ بِالصَّدَقَةِ، وَكَانَ عِنْدِي حُلِيٌّ لِي، فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ، فَزَعَمَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّهُ وَوَلَدَهُ أَحَقُّ مَنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ -أَيْ: بِالْحُلِيِّ- عَلَيْهِمْ».

فَطَلَبَ مِنْهَا -أَيْ: مِنْ زَوْجِهِ.. مِنِ امْرَأَتِهِ- أَنْ تَتَصَدَّقَ بِذَلِكَ الذَّهَبِ بِتِلْكَ الْحُلِيِّ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ وَلَدِهَا مِنْهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**صَدَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ، زَوْجُكِ وَوَلَدُكِ أَحَقُّ مَنْ تَصَدَّقْتِ بِهِ عَلَيْهِمْ**». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ -أَيْضًا-(١).

وَفِي صَدْرِ الْحَدِيثِ: «**فَإِنِّي اطَّلَعْتُ فِي النَّارِ، فَوَجَدْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ؛ يُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَيَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ**»(٢).

كُفْرَانُ النِّعْمَةِ.. جُحُودُ الْمَعْرُوفِ.. عَدَمُ الْقِيَامِ بِوَاجِبِ الشُّكْرِ لِلنَّاسِ كَانَ قَسِيمَ الْأَسْبَابِ الَّتِي أَدَّتْ بِهِنَّ إِلَىٰ النَّارِ؛ «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ**». كَمَا سَيَأْتِي فِي الْحَدِيثِ فِي تَفْسِيرِهِ وَشَرْحِهِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَىٰ، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَىٰ الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟**

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٢) واللفظ له، وأخرجه مسلم (٧٩) من حديث ابن عمر.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، والموجود في صدر الحديث: «**فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**» فَقُلْنَ: وَبِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ**».

قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ -أَيْ: لِأَجْلِهِ-.

قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا.

قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: الْإِبِلُ.

قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ.

فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.

قَالَ: فَأَتَىٰ الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ.

قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا.

قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: الْبَقَرُ.

فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.

قَالَ: فَأَتَىٰ الْأَعْمَىٰ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ.

قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ.

قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا.

فَأَنْتَجَ هَذَانِ، وَوَلَّدَ هَذَا.

قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَىٰ الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ -أَيِ: الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ يَمْسَحَ عَلَيْهِ، وَكَانَ أَبْرَصَ مَفْلُوكًا صُعْلُوكًا لَا مَالَ لَهُ، فَأَتَاهُ فِي صُورَتِهِ، وَهَيْئَتِهِ-، **فَقَالَ لَهُ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي.**

فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ.

فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا، فَأَعْطَاكَ اللهُ مَالًا؟!!

فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ.

جَحَدَ، فَلَمَّا جَحَدَ هَانَ عَلَىٰ اللهِ، فَلَمَّا هَانَ عَلَىٰ اللهِ رَدَّهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- إِلَىٰ مَا كَانَ، وَسَلَبَ مِنْهُ النِّعْمَةَ.

فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ -وَأَتَاهُ عَلَىٰ الْهَيْئَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا لِيُذَكِّرَهُ؛ لِكَيْ لَا يَأْتِيَ مِنْهُ بَدْأَةُ رَدِّ فِعْلٍ لَا تُحْمَدُ، فَأَرَادَ مِنْهُ الْأَنَاةَ-: **أَلَمْ تَكُنْ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَالِ؟**

فَأَنْكَرَ وَجَحَدَ.

فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ.

قَالَ: وَأَتَىٰ الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَىٰ هَذَا.

فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ.

قَالَ: وَأَتَىٰ الْأَعْمَىٰ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي.

فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَىٰ فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي؛ فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ؛ فَوَاللهِ! لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ لِلَّهِ.

فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ؛ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ، وَسُخِطَ عَلَىٰ صَاحِبَيْكَ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ وَاللَّفْظُ لَهُ(١).

نَجَّاهُ الِاعْتِرَافُ بِالنِّعْمَةِ، نَجَّاهُ جُحُودُ الْجُحُودِ، فَجَحَدَ الْجَحْدَ، وَأَعْلَنَ نُكْرَانَ الْجُحُودِ مُقِرًّا بِالنِّعْمَةِ، فَأَمْسَكَ اللهُ عَلَيْهِ النِّعْمَةَ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِهَا، وَأَذْهَبَ اللهُ عَنِ الْجَاحِدِ النِّعْمَةَ، وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا.

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ» بِسَنَدِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ؛ يَكْفُرْنَ».

قِيلَ: «يَكْفُرْنَ بِاللهِ؟».

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤) واللفظ له.

قَالَ: «**يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَىٰ إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ**»(١).

وَالْجُحُودُ فِي بَعْضِ الصُّوَرِ مِنْ خُلُقِ النِّسَاءِ؛ فَلْيَتَخَيَّرْ عَاقِلٌ لِنَفْسِهِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»(٢).

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «صَلَّىٰ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَىٰ إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ -أَيْ: عَلَىٰ إِثْرِ مَطَرٍ كَانَ بِاللَّيْلِ-، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**».

قَالُوا: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».

قَالَ: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ؛ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا؛ فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ وَاللَّفْظُ لَهُ(٣).

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ هَذَا الْحَدِيثَ بِهَذَا اللَّفْظِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ بَرَكَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ بِهَا كَافِرِينَ، يُنْزِلُ اللهُ الْغَيْثَ فَيَقُولُونَ: الْكَوْكَبُ كَذَا وَكَذَا!!**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٢٦) واللفظ له، ومسلم (٢٢٤٦).

(٣) أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١) واللفظ له.

(٤) أخرجه مسلم (٧٢).

أَيُّ جُحُودٍ هَذَا!!

وَأَيُّ جُحُودٍ هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ؟!!

«**يُنْزِلُ اللهُ الْغَيْثَ وَيَقُولُونَ: الْكَوْكَبُ كَذَا وَكَذَا!!**»، وَإِنَّمَا أَنْزَلَهُ اللهُ بِفَيْضِ رَحْمَتِهِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُمَرَ عَلَىٰ الصَّدَقَةِ، فَقِيلَ: مَنَع ابْنُ جَمِيلٍ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَالْعَبَّاسُ عَمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا يَنْقِمُ ابْنُ جَمِيلٍ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا فَأَغْنَاهُ اللهُ! وَأَمَّا خَالِدٌ فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا؛ قَدِ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وَأَعْتَادَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَمَّا الْعَبَّاسُ فَهِيَ عَلَيَّ وَمِثْلُهَا مَعَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَمَا شَعَرْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ**». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ وَاللَّفْظُ لَهُ(١).

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» بِإِسْنَادٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السِّلْسِلَةِ» عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ، وَالتَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ**»(٢). (*).

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٨)، ومسلم (٩٨٣) واللفظ له.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٨٤٧٢)، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٦٦٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْجَاحِدُونَ!!» - الْجُمُعَةُ ١٧ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٣هـ| ٢-١١-٢٠١٢م.

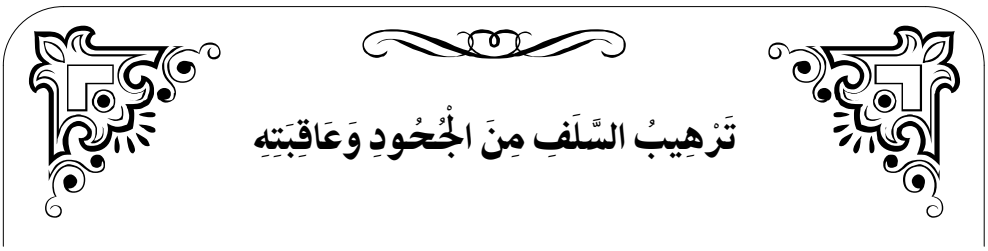

تَرْهِيبُ السَّلَفِ مِنَ الْجُحُودِ وَعَاقِبَتِهِ

لَقَدْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: «﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦] قَالَ: أَيْ كَفُورٌ، وَكَذَا قَالَهُ جَمَاعَةٌ»(١).

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْكَنُودُ: هُوَ الَّذِي يَعُدُّ الْمَصَائِبَ، وَيَنْسَىٰ نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِ»(٢).

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: «﴿إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [القلم: ١٧] قَالَ: كَانَ أَصْحَابُهَا مِنْ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا (ضَرَوَانُ) عَلَىٰ سِتَّةِ أَمْيَالٍ مِنْ صَنْعَاءَ، وَكَانَ أَبُوهُمْ قَدْ خَلَفَ لَهُمْ هَذِهِ الْجَنَّةَ -وَالْجَنَّةُ: الْبُسْتَانُ الْعَظِيمُ-، وَكَانُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

وَقَدْ كَانَ أَبُوهُمْ يَسِيرُ فِيهَا -أَيْ: فِي الْجَنَّةِ، فِي الْبُسْتَانِ- سِيرَةً حَسَنَةً؛ فَكَانَ مَا اسْتَغَلَّهُ مِنْهَا؛ يَرُدُّ فِيهَا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا، وَيَدَّخِرُ لِعِيَالِهِ قُوتَ سَنَتِهِمْ، وَيَتَصَدَّقُ بِالْفَاضِلِ.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ٥٦٥).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٦٦).

فَكَانَتْ تِلْكَ سُنَّتَهُ فِيهِمْ، فَلَمَّا مَاتَ وَوَرِثَهُ بَنُوهُ قَالُوا: لَقَدْ كَانَ أَبُونَا أَحْمَقَ؛ إِذْ كَانَ يَصْرِفُ مِنْ هَذِهِ شَيْئًا لِلْفُقَرَاءِ، وَلَوْ أَنَّا مَنَعْنَاهُمْ لَتَوَفَّرَ ذَلِكَ عَلَيْنَا.

فَلَمَّا عَزَمُوا عَلَىٰ ذَلِكَ عُوقِبُوا بِنَقِيضِ قَصْدِهِمْ، فَأَذْهَبَ اللهُ مَا بِأَيْدِيهِمْ بِالْكُلِّيَّةِ: رَأْسَ الْمَالِ، وَالرِّبْحَ، وَالصَّدَقَةَ، فَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ شَيْءٌ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: هَكَذَا عَذَابُ مَنْ خَالَفَ أَمْرَ اللهِ، وَبَخِلَ بِمَا آتَاهُ اللهُ وَأَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ، وَمَنَعَ حَقَّ الْمِسْكِينِ وَالْفَقِيرِ وَذَوِي الْحَاجَاتِ، وَبَدَّلَ نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا»(١).

قَالَ كَعْبٌ: «مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَىٰ عَبْدٍ مِنْ نِعْمَةٍ فِي الدُّنْيَا فَشَكَرَهَا وَتَوَاضَعَ بِهَا لِلَّهِ إِلَّا أَعْطَاهُ نَفْعَهَا فِي الدُّنْيَا، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً فِي الْآخِرَةِ.

وَمَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَىٰ عَبْدٍ نِعْمَةً فِي الدُّنْيَا فَلَمْ يَشْكُرْهَا لِلَّهِ وَلَمْ يَتَوَاضَعْ بِهَا إِلَّا مَنَعَهُ اللهُ نَفْعَهَا فِي الدُّنْيَا، وَفَتَحَ لَهُ طَبَقَاتٍ مِنَ النَّارِ يُعَذِّبُهُ إِنْ شَاءَ، أَوْ يَتَجَاوَزُ عَنْهُ»(٢).

قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: «تَرْكُ الْمُكَافَأَةِ مِنَ التَّطْفِيفِ»(٣).

وَالْمُكَافَأَةُ مَا يَكُونُ فِي مُقَابِلِ الْإِحْسَانِ.

---

(١) «مختصر تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٣٧).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٤٣).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٥٨).

«مَنْ قَدَّمَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَقُولُوا: جَزَاكُمُ اللهُ خَيْرًا»(١).

وَتَرْكُ ذَلِكَ مِنَ التَّطْفِيفِ، كَمَا قَالَ وَهْبٌ: «تَرْكُ الْمُكَافَأَةِ مِنَ التَّطْفِيفِ»(٢).

وَمَا يُكَلِّفُكَ أَنْ تَدْعُوَ لِمَنْ أَوْصَلَ اللهُ الْإِحْسَانَ إِلَيْكَ عَنْ طَرِيقِهِ وَبِسَبِيلِهِ؟!!

وَهَلْ يَشُقُّ عَلَيْكَ؟!!

كَتَبَ ابْنُ السَّمَّاكِ إِلَىٰ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ حِينَ وَلِيَ الْقَضَاءَ بِـ(الرَّقَّةِ): «أَمَّا بَعْدُ: فَلْتَكُنْ تَقْوَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- مِنْ بَالِكَ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، وَخَفِ اللهَ مِنْ كُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكَ -يَخَافُ اللهَ مِنَ النِّعْمَةِ، بَلْ مِنْ كُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ- مِنْ قِلَّةِ الشُّكْرِ عَلَيْهَا مَعَ الْمَعْصِيَةِ بِهَا.

وَأَمَّا التَّبِعَةِ فِيهَا فَقِلَّةُ الشُّكْرِ عَلَيْهَا، فَعَفَىٰ اللهُ عَنْكَ كُلَّ مَا ضَيَّعْتَ مِنْ شُكْرٍ، أَوْ رَكِبْتَ مِنْ ذَنْبٍ، أَوْ قَصَّرْتَ مِنْ حَقٍّ»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧٢) بلفظ: «**وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**» من حديث ابن عمر، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٤٦٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) «الشكر» لابن أبي الدنيا (٨٩)، واللفظ: قال ابن السماك: «كتب إليَّ محمد بن الحسن حين وليَ القضاء بالرقة: أمَّا بعد، فلتكن التقوىٰ مِن بالك علىٰ كل حال، وخف الله في كل نعمة عليك؛ لقلة الشكر عليها مع المعصية بها، فإن النعمة حجة، وفيها تبعة؛ فأما الحجة فيها بالمعصية بها، وأما التبعة فيها فقلة الشكر عليها؛ فعفىٰ الله عنك كلما ضيعت من شكر، أو ركبت من ذنب، أو قصرت من حق».

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: «سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ: أَسْرَعُ الذُّنُوبِ عُقُوبَةً كُفْرُ الْمَعْرُوفِ»(١).

الْبِرُّ بِي مِنْكَ وَطَّىٰ الْعُذْرَ عِنْدَكَ لِي ... فِيمَا فَعَلْتُ فَلَمْ تَعْذُلْ وَلَمْ تَلُمِ
وَقَامَ عِلْمُكَ بِي فَاحْتَجَّ عِنْدَكَ لِي ... وَقَامَ شَاهِدُ عَدْلٍ غَيْرُ مُتَّهَمِ
لَئِنْ جَحَدْتُكَ مَعْرُوفًا مَنَنْتَ بِهِ ... إِنِّي لَفِي اللُّؤْمِ أَحْظَىٰ مِنْكَ بِالْكَرَمِ
تَعْفُو بِعَدْلٍ وَتَسْطُو إِنْ سَطَوْتَ بِهِ ... فَلَا عَدِمْتُكَ مِنْ عَافٍ وَمُنْتَقِمِ

* * *

يَدُ الْمَعْرُوفِ فِي غُنْمٍ حَيْثُ كَانَتْ ... تَحَمَّلَهَا شَكُورٌ أَوْ كَفُورُ
فَفِي شُكْرِ الشَّكُورِ لَهَا جَزَاءٌ ... وَعِنْدَ اللهِ مَا كَفَرَ الْكَفُورُ(٢)

مَنْ كَانَ عَادَتُهُ وَطَبْعُهُ كُفْرَانَ نِعْمَةِ النَّاسِ، وَتَرْكَ شُكْرِهِ لَهُمْ؛ كَانَ مِنْ عَادَتِهِ كُفْرُ نِعْمَةِ اللهِ ﷻ، وَتَرْكُ الشُّكْرِ لَهُ؛ لِأَنَّهُ بِكُفْرِ نِعْمَةِ الْمُنْعِمِ عَلَيْهِ مِنَ الْخَلْقِ يَتَمَرَّسُ عَلَىٰ الْكُفْرَانِ، وَيَتَدَرَّبُ عَلَىٰ الْجُحُودِ.

وَأَمَّا إِذَا مَا اعْتَادَ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَشْكُرَ مَنْ أَكْرَمَهُ، وَأَنْ يَشْكُرَ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ مَهْمَا وَصَلَ إِلَيْهِ عَنْ طَرِيقِهِ مِنْ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَيْهِ، إِذَا تَمَرَّسَ عَلَىٰ ذَلِكَ وَتَدَرَّبَ عَلَيْهِ؛ كَانَ أَحْرَىٰ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ شَكُورًا، وَأَنْ يَكُونَ لِلَّهِ ذَكُورًا.

---

(١) «بهجة المجالس وأنس المجالس» لابن عبد البر (ص٦٥).

(٢) «سراج الملوك» للطرطوشي (ص٧١).

﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل: ٧١].

قَالَ الشِّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا إِنْكَارٌ مِنَ اللهِ عَلَيْهِمْ جُحُودَهُمْ بِنِعْمَتِهِ؛ لِأَنَّ الْكَافِرَ يَسْتَعْمِلُ نِعَمَ اللهِ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، فَيَسْتَعِينُ بِكُلِّ مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْهِ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ؛ فَإِنَّهُ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ»(١).

وَجُحُودُ النِّعْمَةِ كُفْرَانُهَا، جُحُودُ النِّعْمَةِ كُفْرَانٌ بِالنِّعْمَةِ.

وَلَوْ أَنَّكَ تَأَمَّلْتَ فِي أَحْوَالِكَ، وَتَأَمَّلْتَ فِي ظَاهِرِكَ وَبَاطِنِكَ؛ لَعَلِمْتَ عَظِيمَ حِيَاطَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَكَ؛ إِذْ يَنْتَشِلُكَ مِنْ وَادِي الظُّنُونِ تَعْبَثُ بِكَ، وَإِذْ يَأْتِي بِكَ مِنَ الشُّرُورِ لِيُقِيمَكَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَإِذْ يُنْعِمُ عَلَيْكَ بِالْقَلْبِ الشَّاكِرِ، وَاللِّسَانِ الذَّاكِرِ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ سِوَاهُ؛ فَهُوَ الْمُنْعِمُ بِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَحْدَهُ، وَهُوَ الْمَانُّ بِهِ لَا يَمُنُّ بِهِ إِلَّا هُوَ.

لَوْ تَأَمَّلْتَ لَعَلِمْتَ عَظِيمَ قَدْرِ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، وَهُوَ بَعْدُ يُصَرِّفُكَ فِي أَحْوَالٍ مِنَ التَّمَتُّعِ بِلَذَّاتِهَا، وَيَصْرِفُ عَنْكَ السُّوءَ فِيهَا؛ مِنْ حَسَدِ حَاسِدٍ، وَحِقْدِ حَاقِدٍ، وَمَكْرِ مَاكِرٍ، وَهُوَ بِكَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ.

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «لَا يُزْهِدَنَّكَ فِي الْمَعْرُوفِ كُفْرُ مَنْ كَفَرَ»(٢) أَيْ: كَفَرَ النِّعْمَةَ، وَجَحَدَ الْمَعْرُوفَ، لَا يَعْنِي الْكُفْرَ بِاللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَإِنَّمَا يَعْنِي كُفْرَانَ النِّعْمَةِ وَجُحُودَهَا، وَإِنَّهُ لَمُؤْلِمٌ لِلْقَلْبِ حَقًّا كَأَنَّمَا يَمَسُّهُ بِمِيسَمٍ مِنْ نَارٍ؛ إِذْ تُبْسَطُ يَدُ الْمَعْرُوفِ فَتُقْبَضُ يَدُ الشُّكْرِ؛ بَلْ تُبْسَطُ يَدُ الْجَحْدِ، وَيَدُ الْإِهَانَةِ، وَيَدُ الِاسْتِهَانَةِ.

---

(١) «أضواء البيان» (٢/ ٤١٢).

(٢) «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص٢٤٨).

وَمَنْ يَقْوَىٰ عَلَىٰ تَحَمُّلِ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ قَوَّاهُ اللهُ، وَمَنْ يَثْبُتُ بَعْدُ عَلَىٰ الْعَطَاءِ إِلَّا مَنْ ثَبَّتَهُ اللهُ!!

«لَا يُزْهِدَنَّكَ فِي الْمَعْرُوفِ كُفْرُ مَنْ كَفَرَ؛ فَإِنَّهُ يَشْكُرُكَ عَلَىٰ الْمَعْرُوفِ مَنْ لَا تَصْنَعُهُ إِلَيْهِ»(١).

فَأَنْتَ إِذَا صَنَعْتَ الْمَعْرُوفَ فَجَحَدَهُ مَنْ صُنِعَ مَعَهُ الْمَعْرُوفُ؛ حَمِدَكَ عَلَىٰ الْمَعْرُوفِ الَّذِي صَنَعْتَهُ مَنْ لَمْ تَصْنَعْ لَهُ الْمَعْرُوفَ.

إِعْطَاءُ الْفَاجِرِ يُقَوِّيهِ عَلَىٰ فُجُورِهِ، وَمَسْأَلَةُ اللَّئِيمِ إِهَانَةٌ لِلْعِرْضِ، وَتَعْلِيمُ الْجَاهِلِ زِيَادَةٌ فِي الْجَهْلِ.

تَعْلِيمُ الْجَاهِلِ زِيَادَةٌ فِي الْجَهْلِ، لَمَّا ابْتُذِلَ الْعِلْمُ لِأَوْلَادِ السِّفْلَةِ صَارَ الْأَمْرُ إِلَىٰ مَا تَرَىٰ، وَسَتَرَىٰ!!

لَا بُدَّ مِنْ شَرَفِ النَّفْسِ، وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ، وَكَانُوا يَتَصَفَّحُونَ طُلَّابَهُمْ كَمَا يَتَصَفَّحُونَ طُلَّابَ حَرِيمِهِمْ، وَلَا يَبْذُلُونَ الْعِلْمَ إِلَّا لِمَنِ اسْتَحَقَّهُ.

وَأَمَّا الْعِلْمُ الَّذِي هُوَ فَرْضُ عَيْنٍ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ فَهُوَ مَبْذُولٌ.

فَلَمَّا صَارَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ مَبْذُولًا، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ الْخَسِيسَةِ لِيَرْتَفِعُوا بِهِ دُنْيَا لَا دِينًا؛ صَارَ الْأَمْرُ إِلَىٰ مَا تَرَىٰ، وَسَتَرَىٰ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا!!

---

(١) «بهجة المجالس» لابن عبد البر (ص٦٤).

تَعْلِيمُ الْجَاهِلِ زِيَادَةٌ فِي الْجَهْلِ، وَالصَّنِيعَةُ عِنْدَ الْكَفُورِ إِضَاعَةٌ لِلنِّعْمَةِ، فَإِذَا هَمَمْتَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا فَارْتَدِ الْمَوْضِعَ قَبْلَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ أَوْ عَلَىٰ الْفِعْلِ.

قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: «كُنْ مِنْ خَمْسَةٍ عَلَىٰ حَذَرٍ: مِنْ لَئِيمٍ إِذَا أَكْرَمْتَهُ، وَكَرِيمٍ إِذَا أَهَنْتَهُ، وَعَاقِلٍ إِذَا أَحْرَجْتَهُ، وَأَحْمَقٍ إِذَا مَازَجْتَهُ، وَفَاجِرٍ إِذَا مَازَحْتَهُ»(١).

فَكُنْ مِنْ هَؤُلَاءِ عَلَىٰ حَذَرٍ.

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكْتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

نُكْرَانُ الْجَمِيلِ وَجُحُودُ الْمَعْرُوفِ: أَلَّا يَعْتَرِفَ الْإِنْسَانُ بِلِسَانِهِ بِمَا يُقِرُّ بِهِ قَلْبُهُ وَفُؤَادُهُ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَالصَّنَائِعِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي أُسْدِيَتْ إِلَيْهِ؛ سَوَاءٌ مِنَ اللهِ ﷻ، أَوْ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ.

احْذَرْ هَذَا الْخُلُقَ؛ فَإِنَّهُ مَدْعَاةٌ لِذَهَابِ نِعْمَةِ اللهِ عَنْكَ، وَتَعْذِيبِ اللهِ إِيَّاكَ إِنْ لَمْ يَرْحَمْكَ بِمَشِيئَتِهِ وَرَحْمَتِهِ إِنْ تَوَرَّطْتَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، كَمَا مَرَّ فِي النُّصُوصُ، وَكَمَا قَالَ الْأَئِمَّةُ فِي الشُّرُوحِ.

اتَّقِ اللهَ رَبَّكَ، كُنْ شَرِيفَ النَّفْسِ، وَإِذَا خَاصَمْتَ فَلَا تَفْجُرْ!

إِيَّاكَ وَالْفُجُورَ فِي الْخُصُومَةِ، لَا يَفْجُرُ فِي الْخُصُومَةِ مُؤْمِنٌ قَطُّ؛ لِأَنَّ الْفُجُورَ فِي الْخُصُومَةِ مِنْ خِصَالِ الْمُنَافِقِينَ؛ «**وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»(٢).

---

(١) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (ص٣٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

أَمَّا الْمُؤْمِنُ؛ فَإِنَّهُ إِذَا خَاصَمَ أَدْرَكَتْهُ خِصَالُ يَقِينِهِ، وَأَحْوَالُ مُرُوءَتِهِ، وَدَعَائِمُ إِيمَانِهِ، فَمَنَعَتْهُ مِنَ التَّوَرُّطِ فِيمَا لَا يَجْمُلُ.

اتَّقِ اللهَ رَبَّكَ؛ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يُرِيدُكَ؛ وَلَكِنَّ الْإِسْلَامَ لَا يُرِيدُ الْيَوْمَ عَدًّا، لَا يُرِيدُ الْإِسْلَامُ الْيَوْمَ كَمًّا، وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْإِسْلَامُ الْيَوْمَ كَيْفًا، يُرِيدُ صِفَاتٍ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّكُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ؛ وَلَكِنْ كَثْرَةٌ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ**»(١). (*).

❀❀❀

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩٧) بلفظ: «**بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ**» من حديث ثوبان، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٩٥٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْجَاحِدُونَ!!» - الْجُمُعَةُ ١٧ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٣هـ| ٢-١١-٢٠١٢م.

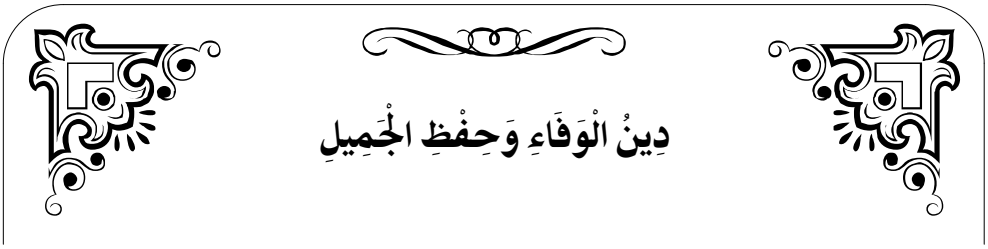

دِينُ الْوَفَاءِ وَحِفْظِ الْجَمِيلِ

عِبَادَ اللهِ! مَا أَحْوَجَنَا إِلَى أَنْ نَتَحَلَّى بِخُلُقِ الْوَفَاءِ وَحِفْظِ الْجَمِيلِ؛ فَهُوَ خُلُقٌ عَظِيمٌ، بِهِ تَسْمُو النُّفُوسُ، وَيَزِيدُ الْإِيمَانُ.

نَبِيُّنَا ﷺ دَلَّنَا عَلَىٰ أَنَّهُ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَشْكُرَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَأَنْ نَشْكُرَ النَّاسَ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ مَا نُكَافِئُ بِهِ الْخَلْقَ عَلَىٰ الْمَعْرُوفِ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْنَا؛ فَلَا أَقَلَّ مِنْ أَنْ نُثْنِيَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ نَدْعُوَ لَهُمْ، وَأَنْ نَقُولَ إِذَا لَمْ نَجِدْ فِي أَيْدِينَا مَا نَرُدُّ بِهِ عَلَىٰ الْجَمِيلِ جَمِيلًا، وَعَلَىٰ الْمَعْرُوفِ مَعْرُوفًا، وَعَلَىٰ الْإِحْسَانِ إِحْسَانًا؛ فَلْنُجَزِّيَهُمْ خَيْرًا، يَعْنِي: فَلْيَقُلِ الْوَاحِدُ مِنَّا: «جَزَاكُمُ اللهُ خَيْرًا»؛ فَإِنَّهُ إِنْ قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الْإِنْعَامِ وَالْإِحْسَانِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إِذَا مَا أَهْدَتْ إِلَىٰ أَحَدٍ هَدِيَّةً؛ تَقُولُ لِلْجَارِيَةِ الَّتِي أَرْسَلَتْهَا بِالْهَدِيَّةِ: «مَاذَا قَالَ أَهْلُ الْبَيْتِ لَكِ؟».

فَتَقُولُ الْجَارِيَةُ: قَالُوا عِنْدَمَا أَوْصَلْتُ إِلَيْهِمْ مَا أَرْسَلْتِنِي بِهِ.. لَقَدْ قَالُوا: «جَزَاهَا اللهُ خَيْرًا».

فَتَقُولُ هِيَ: «وَأَقُولُ أَنَا: وَجَزَاهُمُ اللهُ خَيْرًا؛ فَأُجَزِّيهِمْ كَمَا جَزَّوْنِي، وَيَبْقَىٰ الْأَجْرُ لِي»(١).

فَأَمَّا إِذَا مَا أَحْسَنْتَ إِلَىٰ أَحَدٍ فَقَالَ: «جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا»، فَلَمْ تَرُدَّ عَلَيْهِ، وَلَمْ تَقُلْ: «وَجَزَاكَ»؛ فَإِنَّهُ كَذَلِكَ يَكُونُ قَدْ ذَهَبَ بِجَمِيعِ مَا قَدْ أَنْعَمْتَ أَوْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ بِهِ.

أَهْلُ الْخَيْرِ إِذَا مَا وَصَلَتْهُمْ نِعْمَةٌ شَكَرُوا اللهَ -تَعَالَىٰ- عَلَيْهَا، وَإِذَا أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ إِنْسَانٌ فَإِنَّهُمْ يَشْكُرُونَهُ عَلَىٰ الْإِحْسَانِ الْوَاصِلِ إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جَعَلَ شُكْرَ الْعِبَادِ فِي الْأَرْضِ مِنْ شُكْرِهِ جَلَّ وَعَلَا، «**فَمَا شَكَرَ اللهَ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ**»(٢)، كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ.

وَفِي هَذَا مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ وَالْمُرُوءَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ حُسْنِ الْفِطْرَةِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ؛ فِيهِ -أَيْضًا-: تَقْوِيَةٌ لِلْمُحْسِنِ الَّذِي أَنْعَمَ وَأَوْصَلَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ أَنْ يَتَوَالَىٰ إِحْسَانُهُ وَلَا يَنْقَطِعَ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخَلْقِ إِذَا مَا جُحِدَتْ نِعْمَتُهُمْ، وَإِذَا مَا كُفِرَ إِحْسَانُهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ يُسِيئُونَ الظَّنَّ بِالْخَلْقِ؛ وَحِينَئِذٍ يُمْسِكُونَ مَعْرُوفَهُمْ، فَلَا يَصِلُ الْمَعْرُوفُ مِنْهُمْ إِلَىٰ أَحَدٍ بَعْدَ ذَلِكَ؛ لِسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالنَّاسِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ الْإِحْسَانَ إِلَّا مُقَابَلًا بِالنُّكْرَانِ، وَلَا يَرَوْنَ الْمَعْرُوفَ مُقَابَلًا إِلَّا

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

بِالْمُنْكَرِ، وَلَا يَرَوْنَ النِّعْمَةَ مُقَابَلَةً إِلَّا بِجُحُودِهَا؛ وَحِينَئِذٍ يَسُوءُ ظَنُّ الْمُحْسِنِ بِالنَّاسِ؛ فَيَكُفُّ إِحْسَانَهُ حِينَئِذٍ عَنِ الْوُصُولِ إِلَىٰ الْخَلْقِ.

النَّبِيُّ ﷺ يُرِيدُ مِنَّا أَلَّا نُنْكِرَ النِّعْمَةَ، وَأَلَّا نُنْكِرَ الْجَمِيلَ؛ لِأَنَّ هَذَا الْخُلُقَ لَيْسَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ، وَالْإِسْلَامُ إِنَّمَا جَاءَ بِكُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ.(*).

أَسْأَلُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يُولِيَنَا شُكْرَ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا وَعَلَىٰ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، وَأَنْ يُصْلِحَ لَنَا فِي ذُرِّيَّاتِنَا، وَأَنْ يُحْسِنَ خَاتِمَتَنَا بِمَنِّهِ، وَجُودِهِ، وَكَرَمِهِ، وَفَضْلِهِ، وَهُوَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «نُكْرَانُ الْجَمِيلِ» - الْأَرْبِعَاءُ ٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٦هـ| ١٢-١٠-٢٠٠٥م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْجَاحِدُونَ!!» - الْجُمُعَةُ ١٧ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٣هـ| ٢-١١-٢٠١٢م.

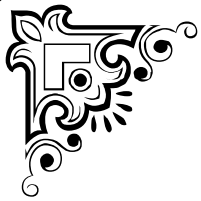

الْفِهْرِسُ

مُقَدِّمَةٌ ٣
عِظَمُ خُلُقِ الْوَفَاءِ ٤
مَعَانِي الْوَفَاءِ ٥
أَنْوَاعُ الْوَفَاءِ ٩
الْوَفَاءُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ١١
الْوَفَاءُ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ ١٨
مَثَلٌ مَضْرُوبٌ فِي الْوَفَاءِ!! ٣٢
حِفْظُ الْجَمِيلِ فِي الْإِسْلَامِ ٣٥
مِنْ صُوَرِ الْوَفَاءِ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ ٤٩
ذَمُّ الْجُحُودِ وَنُكْرَانِ الْجَمِيلِ ٦٩
مِنْ أَسْبَابِ الْجُحُودِ وَنُكْرَانِ الْجَمِيلِ ٧٠
مَعْنَىٰ الْجُحُودِ ٧٨
التَّرْهِيبُ مِنَ الْجُحُودِ وَنُكْرَانِ الْجَمِيلِ ٨٢
تَرْهِيبُ السَّلَفِ مِنَ الْجُحُودِ وَعَاقِبَتِهِ ٩٣
دِينُ الْوَفَاءِ وَحِفْظِ الْجَمِيلِ ١٠١